فلسفة البكاء على الحسين عليه السلام

الأستاذ المساعد الدكتور
ابتسام سعدون محمد النوري
الجامعة المستنصرية ـ كلية التربية
Dr20072013@yahoo.com

الفصل الأول

هنالك سؤال نطرحه دائماً في ذكرى عاشوراء الأليمة، ونرى أنه من اللازم الإجابة عليه من خلال عاشوراء ذاتها، وهذا السؤال هو: لماذا نبكي في عاشوراء؟ هل نبكي لمجرد البكاء، أم لأن عاشوراء تثير روحية الإنسان فتدفع به إلى البكاء؟ أسئلة كثيرة تطرح، ويتفرع عنها الكثير من المعاني والدلالات التي تؤكد لنا حضور عاشوراء فينا من خلال البكاء الروحي المستلهم لكافة الصور المعنوية والملكوتية، ذلك أن هذه الصور لا بد أن تعبر عن نفسها، والدموع هي من جملة تعبيرات هذه الصور المعنوية والروحية.

لعل البعض يستغرب هذا الموضوع ويعتبر الحديث فيه والبحث عنه عملاً لا قيمة له بحيث يقال: إن البكاء هو نتيجة للضعف والهزيمة، أو نتيجة لمصيبة وقعت، وليس له أي معنى روحي، وقد يستدل هذا البعض على حقيقة ما يذهب إليه في معنى البكاء بأن الناس جميعاً يبكون وليس هناك ثمة معنى لبكائهم غير تلك الصور الظاهرة في حالاتهم، فالبكاء الفيزيولوجي ظاهرة عامة، ودليل قوي على مادية البكاء كما يرى هؤلاء، وانطلاقاً لما يذهب إليه هؤلاء، فإننا نقول: إذا كان البكاؤون يتساوون في البكاء من حيث الصورة الظاهرة، فإنهم لا يتساوون من حيث الصورة الباطنية لأن النفس الإنسانية أيضاً تعبر عن نفسها بما لا يدع مجالاً للشك بأن النفس مستقلة فيما تعبر به عن نفسها في أجواء عبادية تتجاوز المصائب والأحزان وكل ما يثير الدموع في حالات خاصة قد تحمل الباكي أو المتبكي على الظن بأن البكاء هو نتيجة لشعور خاص بألم ما أو يحدث ما يدفع المرء إلى البكاء، والحق يقال: إن المتباكي قد يجد دموعاً يذرفها، ولا يجد بكاءً، باعتبار أن ذرف الدموع شيء والبكاء شيء آخر، والدليل على ذلك ما جاء في الحديث المشهور: من أنه إذا لم تجدوا بكاءً

فتباكوا، تكلفوا البكاء بهدف الإثارة الظاهرية لمشاعر التي غالباً ما تؤثر على الحالة الداخلية للإنسان، إن الفرق بين أهل الدنيا وأهل الآخرة، هو أن أهل الدنيا يكون البكاء عندهم حالة مرتبطة بما يريحونه أو يفسرونه من ماديات، بينما أهل الآخرة فالبكاء عندهم حالة روحية دائمة تتجاوز الربح والخسارة المادية، ولهذا يقول أمير المؤمنين عليه السلام: "إن الزاهدين في الدين تبكي قلوبهم وإن ضحكوا" في حين أن أهل الدنيا تضحك قلوبهم وإن بكوا..".

وكُنْتُ أَظُنُ ايضا فيما سَبَقْ أَنْ البُكاء وإِذْرافَ الدُمُوعْ شَعيرةٌ خُصِصَت كَطَقْسٍ من طُقوسِ الوداع الأخير، لكننا نرى ونقرأ هنا شيء آخر، مُصابٌ مِنْ نوعٍ آخر لا شبيه له من أول الدنيا لآخرها، رَضيعٌ يُبْكى عليه ساعة ولادته، رسول الله وابنته وحَشْدٌ كبيرٌ من الملائكة في حال نياح على رضيع بِساعَةِ ولادته، حقاً إني الآن على يقين تام، بأن الحسين عليه السلام قد ضَرَبَ بمصابِهِ كُلَ العاداتِ والتقاليد المتبعة عرض الحائط، وأَنْفَرَدَ بشخصه وذاته عن الجميع، فسلامٌ على من بكى عليه ساعة مولده رسول الله، وناحت عليه الزهراء، وجَزَعْ له جبرائيل والحشد العظيم، وقد حاولت فهم لغة البكاء وجمع ما كُتب عنها، فوجدت كاتبا يخبرني أنها غسيل للجروح وللهموم، وآخر يخبرني أنها حكرا على النساء، وأنّ الرجال يبكون في قلوبهم فقط. وأيضا آخر يُعلق بأنك يجب أنْ تحبس دموعك قدر استطاعتك، لأنّ دموعك مصدر لاستضعافك من الآخرين وأخيرا وليس آخرا، فكرة لكاتب لم أستوعبها تماما يخبرني أنك يجب أنْ تبكي حتى تُشعر الآخر باحتياجك لهُ، وقد عرف عن البكاء أنه يكون عند الحزن، وأنّه مظهر من مظاهر النقص والعيب، فإن السنة النبوية حافلة بالمواقف لبكاء النبي، واستنادا الى ما سبق ارتأت الباحثة الكتابة في هذا الموضوع وجعله بعنوان: فلسفة البكاء على الامام الحسين عليه السلام:

أهمية البحث:

يستهدف البحث الحالي تعرف:

١- لماذا البكاء على الحسين؟

٢- هل البكاء يُعد تصرفا مُعيبا كالكسلِ أو الكبرِ ؟

٣- هل هي خاصية تبقى للنساء لقوة عاطفتهم وعدم احتمال قلوبهم للمصائب؟

٤- هل حقيقة البكاء يغسل الجروح والهموم؟

٥- هل يفقد الانسان كبرياءه ويصبح ضعيفا بنظر الآخرين في حالة البكاء؟

٦- هل البكاء فلسفة تتخطى كل ذلك..لها وقتها ولها زمانها ولها أسلوبها؟

ثالثاً: حدود البحث:

جمع الأحاديث المتعلقة بالموضوع، بما يخدم مباحث البحث.

تحديد المصطلحات:

أولاً - البكاء عرفه كل من:

١. (الفراهيدي،٥/٤١٧) لغة: بكى يبكي بكاء، وهو مقصور وممدود. وتقول باكيتُ فلاناً فبكيتُه، أي كنتُ أبكى منه في (القوصي،١٩٩٥: ٨٧).

٢. البكاء اصطلاحا: هو إراقةُ الدموع من أثرِ الخوف وغيرِه للتَّعبيرِ عما في الفُؤاد:http://www.thaqafnafsak.com

٣. (محمد،٢٠٠٨):خبرة سيكولوجية يمر بها كل إنسان في مختلف مراحل حياته، صغيراً كان أو كبيراً، ذكراً كان أو أنثى، غنياً كان أو فقيراً (محمد،٢٠٠٨:بلا)

٤. ويكيبيديا، الموسوعة الحرة: هو أحد التعبيرات التي تظهر على الإنسان في الظروف الصعبة التي تمر به، نتيجة تعرضه لحادث اليم أو موقف محزن، أو ضياع عزيز أو فقدان خليل. وهو يصاحبه دائما سيلان الدموع http://ar.wikipedia.org/wiki

المبحث الاول

لماذا نبكي

إن الحقيقة التي لا شك فيها أن البكاء آية من آيات الله عز وجل في النفس الإنسانية، مثله تماماً مثل الحياة والموت والخلق، فهو القائل سبحانه: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى * وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا * وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ (النجم: ٤٣-٤٥)، فهو سبحانه الذى خلق البكاء وسبب دواعيه، وجعله ظاهرة نفسية عامة ومشتركة لدى جميع البشر على اختلاف ألوانهم

وأشكالهم وألسنتهم ومذاهبهم وبيئاتهم، فالبكاء لغة عالمية لا تختلف باختلاف الألسن أو الثقافات أو البيئات، فالجميع يبكون بنفس الطريقة ولنفس الأسباب غالباً.

ويرتبط البكاء غالباً بالضعف، فهما متلازمان سواء كان الضعف مرضاً أو وفاة عزيز أو أزمة أو غير ذلك، لأن البكاء في أصله استغاثة، فالصغير عندما يبكى ويرتفع صوته ويجهش فإنه يستغيث، وينجح في أن يحرك في الأم كل عواطف الأمومة فتهرع لحمايته، ويقول علماء النفس أن صرخة الطفل تفتح قلب الأم، فمن فضل الله علينا أن جعلنا نبكى حتى نحصل على الحماية والرعاية والعطف، وقد دلت الدراسات النفسية على أن الطفل في سن الثالثة يبكى في حضور أمه أكثر مما يبكى إذا كان بمفرده، بل أن كثيراً من الأطفال يكونون هادئين فإذا ظهرت الأم بدأوا يبكون، وهذا معناه أن البكاء له وظيفة فإذا انقطعت صلة البكاء بوظيفته انقطع البكاء، فالمقصود بالبكاء تحريك الآخرين، فإذا كان الآخرون غير موجودين فإن البكاء يفقد وظيفته ويختفى (http://www.altibbi.com)

والإنسان عندما يبكى فإنه يعبر عن ضعفه واحتياجه إلى الأمان والراحة، فلا يجد غير الدموع تنفيساً عما يعانيه من ألم نفسى وضغوط عصبية، لذلك وضع قدماء المصريين تقاليد الجنائز عند الوفاة حيث يجتمع الناس ويبكون ويستبكون ويحمس بعضهم بعضاً، وبذلك تكون الجنائز فرصة لتفريغ شحنات انفعالية عند الكثيرين، ولا زال بعضاً من ذلك سائداً في كثير من المجتمعات العربية حتى الآن خاصة بين النساء (منصور،١٩٩٤: ٦).

وبكاء الشخص عند وفاة عزيز عليه نوع من الضعف واليأس، ومعناه انعدام القدرة على عمل ما ينقذ الموقف وغرضه اللاشعوري استدرار عطف الآخرين، فقريب المتوفى مثلاً يكون متأثراً وحزيناً دون أن يبكى عادة وهو بمفرده، فإذا ألتقى مع قريب آخر أو صديق بكى الاثنان معاً، فالبكاء يظهر عادة بالالتقاء الذى يصحبه التجاوب بين الأشخاص (المصدر السابق).

وإذا كان البكاء من الأمور السيكولوجية الشائعة لدى جميع البشر، إلا أنه كأي ظاهرة نفسية قد يكون ظاهرة صحية أو مرضية، ويرجع ذلك إلى تنوع أشكال البكاء وتعدد صوره وألوانه ودرجاته ووظائفه، فبكاء الطفل نتيجة شعوره بالجوع أو المرض بكاءً صحياً يجعلنا ننتبه إلى حاجاته ونشبعها له، ولكن بكائه المستمر نتيجة الإفراط في التدليل أو لرغبته في

تنفيذ كل طلباته وأهوائه لا يمكن أبداً أن يكون بكاءً صحياً، وكذلك بكاء الإنسان نتيجة استشعاره لعظمة الله وجلاله وخوفاً من قدرته وبطشه، لا يمكن أن يتساوى مع بكاءه ليخدع الآخرين ويكذب عليهم ليحقق مآرب أخرى في نفسه(محمد،٢٠٠٨: ٢١).

المبحث الثاني

صور من البكاء

من الصعب الإحاطة بجميع أشكال وصور البكاء لدى جميع البشر، فالبكاء ظاهرة نفسية تتنوع مظاهرها وأسبابها ووظائفها بتنوع واختلاف نفسيات البشر ذاتهم، ولذلك سنكتفى بالإشارة إلى بعض الصور الشائعة من أنواع البكاء.

أولاً: بكاء الأطفال: الأطفال أكثر المخلوقات بكاء، وللبكاء لدى الطفل وظائف ومسببات عديدة، فالطفل يستخدم البكاء كوسيلة للتعبير عن احتياجاته أو خوفه أو مرضه، فإذا شعر بالجوع بكى طلباً للطعام، وإذا شعر بالبرد بكى طلباً للدفء، وإذا شعر بالألم أو المرض بكى تعبيراً عن ألمه ومرضه، وإذا أزعجه شيء أو خاف من شيء أو شخص ما بكى خوفاً، وإذا شعر بغياب أمه أو انشغالها عنه بكى طلباً لعطفها وجذباً لاهتمامها واستدراراً لحنانها ورعايتها (القوصي،١٩٥٢:٧٧).

وهنالك أطفالاً يجعلون من بكائهم سلاحاً ماضياً ينالون به كل ما يريدون من أمهاتهم وآبائهم، فإذا رفض الأهل تنفيذ رغبة من رغباته فإنه يشهر في وجوههم سلاح بكائه المستمر فتضعف إرادتهم ويرضخون لرغباته وطلباته، وإذا كان بكاء الطفل نعمة من الله عزّ وجل تجعلنا نهتم به ونعطف عليه ونرعى شئونه، إلا أن إساءة استخدام الطفل لهذه الوسيلة - كما ذكرنا - يجب أن يواجه من الأسرة ببعض الضبط والتحكم، حتى لا يشب الطفل مدللاً متعوداً على ضرورة إجابة كل طلباته وأوامره، مما يعرضه في المستقبل لكثير من الاضطرابات النفسية في حالة عدم قدرته على تحقيق رغباته وكل ما يريده، فيتحول إلى شخصية غير سوية لا هم لها إلا التملك وإشباع الرغبات حتى ولو على حساب الآخرين(المصدر السابق).

ثانياً: بكاء الضعف والخوف: كما ذكرنا فإن البكاء والضعف متلازمان، والإنسان عندما يبكى فإنه يعبر عن ضعفه وقلة حيلته وحاجته إلى الحماية، لذلك يرى

بعض علماء النفس أن البكاء لدى الكبار نوع من النكوص إلى مرحلة الطفولة، فالطفل يحتاج دائماً إلى الحماية، ومن ثم فإن البكاء نكوص إلى المرحلة التي تتطلب الحماية.

ويصدر البكاء في حالات اليأس وفى الأزمات، غير أن حالات الضعف تشجع عليه أكثر، كما يقول الدكتور القوصى، ولابد أن يكون قد مر في خبرة القارئ ما مر في خبرتي فقد كنت أعرف رجلاً لم يكن في العادة يبكى على ما أعلم، ولكنه أصيب بمرض شديد، وأضطر للاستسلام للفراش وساءت حالته فأصبح لضعفه أشبه بالأطفال في حاجة لمن يأتيه بغذائه ويعاونه في قضاء حاجته، وقد زرته وهو على هذه الحالة فما كاد يراني حتى ابتلت عيناه ثم أغرورقت ثم انهمرت دموعه، فإذا بي أتأثر وأبكى معه، ثم فكرت بعد انصرافي من زيارته عن السر في هذا البكاء، فأدركت أن زيارتي له قد ذكرته بما كان عليه من صحة وقوة، فعزت عليه نفسه ولعله شعر باليأس من الشفاء وبأنه يسير نحو القدر المحتوم، فلا الطب يسعفه ولا أصدقاؤه يساعدونه ولا أولاده ينقذونه، فبكى استدراراً لعطف الله عليه وإعلاناً لضعفه وخوفه (المطبعي،٢٠١٢: بلا).

وكثيراً ما يجد الإنسان نفسه خائفاً من شيء ما، كعدو يترصده، أو مجهول يتهدده، أو مستقبل غامض ينتظره، فيبكى خوفاً وجزعاً من هذا القادم الذى يشعر إزاءه بالضعف وقلة الحيلة، والإنسان الذى يتعرض للخوف الشديد كخبرة نفسية حادة ومؤلمة، يحاول أن ينفث عن خوفه ويقلل من توتره بالبكاء، وقد يصاب الإنسان بأمراض عديدة نتيجة لخوف شديد لم تتحمله أعصابه، بل أن زيادة الخوف إلى درجة لا يتحملها الإنسان قد تؤدى به إلى الوفاة، وهنا يكون للبكاء دوراً هاماً في إعادة التوازن النفسي للإنسان والتخفيف من حدة الخوف الذى يصيبه (http://www.altibbi.com)

ثالثاً: بكاء الشفقة والرحمة: وهذا النوع من البكاء يشيع بين الأناس رقيقي القلوب، غزيري المروءة، سريعي التأثر بمن حولهم، فأنت عندما ترى طفلاً صغيراً مريضاً أو عاجزاً فإنك قد تبكى شفقة ورحمة عليه، بل إن بعض الناس ليبكون تأثراً وشفقة لمجرد رؤية حيوان يتألم أو طائر حبيس، ويدخل في ذلك أيضاً بكاء الإنسان شفقة ورحمة على ذويه وأصدقاؤه وغيرهم عندما يصابون بسوء أو

يكونون في موقف ضعف نتيجة مرض أو فاقة أو مصيبة أو غيرها، وهكذا نرى أن قلب الإنسان عندما تملؤه الشفقة والرحمة على مخلوقات الله تصبح الدموع أصدق وأنبل تعبير عن هذه الشفقة والرحمة (المطبعي،٢٠١٢:بلا).

رابعاً: بكاء السماء والأرض: والسماوات والأرض تبكيان على العبد المؤمن إذا مات وأنقطع عمله، وقد ورد ذكر بكاء السماء والأرض في القرآن الكريم في قوله عز وجل: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ * فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ (الدخان: ٢٥-٢٩)، قال الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله قال: (ما من عبد إلا وله في السماء بابان: باب يخرج منه رزقه، وباب يدخل منه عمله وكلامه، فإذا مات فقداه وبكيا عليه)، قال مجاهد: ما مات مؤمن إلا بكت عليه السماء والأرض أربعين صباحاً، قال: فقلت له أتبكى الأرض؟ فقال: أتعجب؟! وما للأرض لا تبكى على عبد كان يعمرها بالركوع والسجود؟ وما للسماء لا تبكى على عبد كان لتكبيره وتسبيحه فيها دوى كدوى النحل؟، وقال قتادة في هذه الآية: كانوا أهون على الله عز وجل من أن تبكى عليهم السماء والأرض.

خامساً: البكاء من خشية الله: وأفضل أنواع البكاء وأكرمها على الله عز وجل ما كان من خشيته وخشوعاً لآياته وخضوعاً لقدرته تبارك وتعالى، وقد أثنى الله سبحانه وتعالى على الباكين من خشيته الخاشعين له، يقول عز وجل: ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا * وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ (الإسراء ١٠٧-١٠٩) وقد أخرج ابن جرير وابن المنذر وغيرهما عن عبد الأعلى التميمي أنه قال - تعليقاً على هذه الآية - إن من أوتى من العلم ما لم يُبكه لخليق أن قد أوتى من العلم ما لا ينفعه، لأن الله تعالى نعت أهل العلم فقال: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾ (الاسراء:١٠٩)

سادساً: بكاء الفرح: والبكاء ليس دائماً قرين الحزن واليأس، وإنما هناك نوع من البكاء

لا يظهر إلا في حالات الفرح الشديدة!!، وهو ما يسمونه (دموع الفرح)، فكثير من الناس عندما يمر بخبرة سعيدة أو فرحة غامرة، لا يجد ما يعبر به عن هذه السعادة سوى البكاء، فالأم مثلاً تبكى في ليلة عرس ابنتها فرحاً، والذى ينال تقديراً ما أو جائزة قيمة أو تكريماً طال انتظاره يبكى فرحاً بهذه اللحظة النادرة التي يمر بها، وكذلك الأب عندما يرى نجاح أبناءه وتفوقهم وتميزهم فإنه يبكى فرحاً بهم عندما يرى ثمرة تعبه وأحلامه تتحقق فيهم، فبكاء الفرح خبرة شعورية يمر بها الكثيرون في حياتهم، وتكون الدموع نوعاً من التعبير عن السعادة والغبطة.

سابعاً: بكاء الخديعة والكذب: والبكاء ليس دائماً صادقاً، أو نابعاً من عاطفة نبيلة، فهناك بكاء كاذب غرضه الخداع وإيهام الناس بما يخالف الحقيقة، وما أبلغ تصوير القرآن الكريم لهذا النوع من البكاء في قصة أخوة سيدنا يوسف عليه السلام، حيث يقول عز وجل مخبراً عن ذلك: ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ، قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ، وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ (يوسف: ١٦-١٨)

وكثيرة هي المشاهد التي نراها لهذا النوع من البكاء في حياتنا، فالمتسول الذى قد يعترض طريقك باكياً مستعطفاً مستدراً لإحسانك غالباً ما يكون كاذباً، والمرأة التي تحاول السيطرة على زوجها واستدرار عطفه بدموعها غالباً ما تكون خادعة، بل أن القاتل أحياناً ليبكي على ضحيته خداعاً للناس وإيهاماً لهم ببراءته وصدقه، وقد يتخذ المعتدى الظالم من دموعه وسيلة لخداع الناس وإيهامهم بعكس الحقيقة ليظنوا أنه المظلوم لا الظالم، وكما قلنا فإنه كثيراً ما تنطلي هذه الدموع الزائفة والبكاء الخادع على كثير من الناس، وكان الصحابة رضوان الله عليهم كثيري البكاء من خشية الله، تجرى دموعهم على خدودهم وتبتل بها وجوههم ولحاهم خشية لله وخشوعاً وطمعاً في رحمته وإشفاقاً من عذابه (http://www.altibbi.com).

ثامناً: بكاء الندم: هو أشد أنواع البكاء مرارة وقسوة على النفس، فهو اعتراف بالعجز والذنب والتقصير وظلم النفس أو الغير، فالعبد المذنب عندما يتوب يبكى ندماً على ذنبه، بل إن الفقهاء جعلوا البكاء ندماً دليلاً على صحة التوبة وقبولها،

واعتبروا جمود العين دليلاً على عدم الصدق في التوبة، وعادة ما يندم الإنسان كثيراً في حياته، فهو يندم على ما فعله من أمور كان يجب ألا يفعلها، ويندم على ما لم يفعله من أمور كان يجب عليه فعلها، وهو يندم على ضياع الفرص من بين يديه هباءً، ويندم على ضياع عمره منه بلا طائل، ويندم على فعل السيئات، كما يندم على فعل المعروف في غير أهله، وهو يعبر عن كل هذا بالبكاء، ودموعه هنا هي دليل الندم (المصدر نفسه).

الفصل الثاني

المبحث الأول

لماذا البكاء على الحسين عليه السلام واجره

يأمرنا الله تعالى بالصبر في كل موضع، أما في هذه الحادثة فتأمرنا النصوص الإسلامية بالبكاء، إذ ورد الحثّ على البكاء على الإمام الحسين.فعن الإمام الباقر عليه السلام في حديث زيارة الحسين عليه السلام يوم عاشوراء من قرب: "ثم ليندب الحسين عليه السلام ويَبْكِه، ويأمر من في داره ممّن لا يتّقيه بالبكاء عليه... وليعزّ بعضهم بعضاً بمصابهم بالحسين" عليه السلام قلت: فكيف يعزّي بعضنا بعضا؟ قال: "تقولون: أعظم الله أجورنا بمصابنا بالحسين، وجعلنا وإيّاكم من الطالبين بثأره مع وليّه الإمام المهديّ من آل محمّد عليهم السلام (النووي،١٩٨٩: بلا).

وإذا منعتنا ذنوبنا في البداية من البكاء فلنحرص على التباكي فإنّ له أجر البكاء. قال ابن طاوس روي عن آل الرسول عليهم السلام أنّهم قالوا": من بكى وأبكى فينا مائة فله الجنّة، ومن بكى وأبكى خمسين فله الجنّة، ومن بكى وأبكى ثلاثين فله الجنّة، ومن بكى وأبكى عشرين فله الجنّة، ومن بكى وأبكى عشرة فله الجنّة، ومن بكى وأبكى واحداً فله الجنّة، ومن تباكى فله الجنّة (مكيال المكارم ج٢ ص١٥٩).

وهكذا فإن الأمر بالبكاء والندب والنحيب يكمن وراءه هدف وحكمة، فليس عبثاً أن الأئمة كانوا يؤكدون دوماً على البكاء والنحيب، وعلى تجديد ذكرى الحسين عليه السلام، وكأنها وقعت في الأمس القريب، وكأن الحسين قد استشهد للتو، فلا ريب أن طائفة كبيرة من المسلمين يبادرون إلى تجديد هذه الذكرى كلما مر عليهم هذا الشهر (شهر محرم) الحزين

المليء بالعبر والعبرات، فترى المدن تلبس السواد، وتتغشى القلوب بسحابة من الكآبة، وتصطبغ المجالس بلون الدم والمأساة، أو ليس كل ذلك لهدف وحكمة؟ ترى ما هي هذه الحكمة؟ الحكمة هي أن القلوب عندما تتفاعل مع المأساة فإنها ستخشع لهدف الحسين عليه السلام ولواقعة كربلاء، فهي تهدف إلى تقريب النفوس من الحقائق، وجعلها تستفيد من عبر واقعة كربلاء، كما أنه عليه السلام قد ألقى في يوم عاشوراء فقط خمس خطب منذ صبيحة يوم عاشوراء وحتى ظهره، فكان يستغل كل مناسبة ليبين أهداف ثورته، وقد سجل في كل مناسبة، وعند كل مصرع لشهيد بياناً لهدفه، والحكمة التي من أجلها استشهد، حتى امتزج الهدف بالمأساة، فلا الهدف ينفصل عن المأساة، ولا المأساة بمنفصلة عن الهدف، فالحسين عليه السلام خرج إلى كربلاء وفي طريقه كان يردد الآية الكريمة ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (القصص/٨٣)، فكيف نستطيع أن نفصل مسيرة الإمام عليه السلام إلى كربلاء عن هذه الآية التي كان يرددها في كل لحظة، وكيف نستطيع أن نفصل بينه وبين الصلاة التي أداها وهو في قمة المواجهة، فقد صلى وأوقف اثنين من خيرة أصحابه يتقيانه السيوف والسهام والمعركة دائرة على أشدها، وبالتالي كيف يمكننا أن نعزل المأساة عن الحسين عليه السلام وهو يضع رأسه في آخر لحظة من لحظات حياته على تراب كربلاء قائلاً: (صبراً على قضائك يا رب، لا إله سواك يا غياث المستغيثين) (ابن قولويه باب: ٣٣) وعندما يذبح ابنه الرضيع على يديه الكريمتين يمسك بالدم ويرمي به في الفضاء ويقول: (هوّن ما نزل بي إنه بعين الله تعالى)، فإنه في كل لحظة يسجل هدف ثورته وموقفه، الموقف وهدف الموقف، الحركة وحكمة الحركة، القضية ومأساة القضية، كل ذلك لا نستطيع أن نفصله عن بعض (المدرس، بلا).

أجر البكاء على الإمام الحسين (الآثار الأخرويّة): عن الإمام زين العابدين": عليه السلام أيّما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين عليه السلام حتّى تسيل على خدّه، بوّأه الله بها في الجنّة غرفاً يسكنها أحقابا" (ثواب الأعمال ص ٨٣)، وعن الإمام عليّ": عليه السلام كلّ عين يوم القيامة باكية وكلّ عين يوم القيامة ساهرة، إلّا عين من اختّصه الله بكرامته وبكى على ما ينتهك من الحسين وآل محمّد عليهم السلام." (الخصال ص٦٣٥).

وعن الإمام الصادق عليه السلام – في مناجاته بعد صلاته": يا من خصّنا بالكرامة، ووعدنا

الشفاعة، اغفر لي ولإخواني وزوّار قبر أبي عبد الله الحسين، اللهمّ إنّ أعداءنا عابوا عليهم بخروجهم فلم ينههم ذلك عن الشخوص إلينا خلافاً منهم على من خالفنا، فارحم تلك الوجوه التي غيّرتها الشمس، وارحم تلك الخدود التي تتقلّب على حفرة أبي عبد الله عليه السلام، وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمة لنا، وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا، وارحم تلك الصرخة التي كانت لنا، اللهمّ إنّي أستودعك تلك الأبدان وتلك الأنفس حتّى توافيهم من الحوض يوم العطش" (كامل الزيارات: ٢٢٩).

أما الآثار الدنيويّة فهي التالي(*):

١. إظهار المحبّة والولاء: إنّ البكاء على الإمام الحسين عليه السلام يعني أنّنا سلم لمن سالمهم وحرب لمن حاربهم وعدوّ لمن عاداهم، فالحزن والبكاء عليه هما إعلان الولاء والانتماء والبيعة له ولأهل البيت عليهم السلام.

٢. الإجلال والتعظيم: إنّ البكاء على الحسين عليه السلام هو تعظيم لقدره وتجليل لمقامه وتبيان لعظيم كرامته أمام جميع الناس، وبالتالي فإنّ بكاءنا هنا هو إعطاء شخصيّة الحسين عليه السلام عظمتها ومكانتها في نفوسنا.

٣. تعليم مبادئ ثورة الحسين: عليه السلام فالبكاء يستهدف التفاعل القلبيّ والروحيّ مع المبادئ التي طرحها الإمام الحسين عليه السلام والانصهار بها، تلك المبادئ التي خلّدت الإسلام كالمطالبة بالحقّ المغصوب، والرفض القاطع للظلم، والتفاني والإيثار، والجهاد بكلّ غالٍ ونفيس، لذلك اعتبر البكاء على الحسين عليه السلام وسيلة لتربية النفس البشريّة.

٤. مواساة أهل بيت العصمة عليهم السلام: إنّ البكاء وإقامة المآتم يعتبران لوناً من ألوان المواساة لأهل البيت عليهم السلام، والشعائر الحسينيّة هي بمثابة تعزية للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بذبح سبطه وولده الحسين عليه السلام وأهل بيته وسبي عياله، وهذه المواساة نتوسّم منها نيل الأجر وعظيم المثوبة، فإنّ من صفات شيعتهم وأتباعهم أنّهم يفرحون لفرحهم ويحزنون لحزنهم.

إحياء وتزكية الثورة في النفوس: وللبكاء على الإمام الحسين دلالات يعبّر الإمام الراحل قدس سره عن جانب منها بقوله: "قد يسمّينا المتغرّبون بـ(الشعب البكّاء) ولعلّ

البعض منّا لا يتمكّن من قبول أنّ دمعة واحدة لها كلّ هذا الثواب العظيم، لا يمكن إدراك عظمة الثواب المترتّب على إقامة مجلس للعزاء، والجزاء المعدّ لقراءة الأدعية، والثواب المعدّ لمن يقرأ دعاء ذا سطرين مثلاً، كما إنّ المهمّ في الأمر هو البعد السياسيّ لهذه الأدعية وهذه الشعائر، المهمّ هو ذلك التوجّه إلى اللّه وتمركز أنظار الناس إلى نقطة واحدة وهدف واحد، وهذا هو الذي يعبّئ الشعب باتجاه هدف وغاية إسلاميّة، فمجلس العزاء لا يهدف للبكاء على سيّد الشهداء عليه السلام والحصول على الأجر -وطبعاً فإنّ هذا حاصل وموجود.

١- الأهمّ من ذلك هو البعد السياسيّ الذي خطّط له أئمّتنا عليهم السلام في صدر الإسلام كي يدوم حتّى النهاية، وهو الاجتماع تحت لواء واحد وبهدف واحد، ولا يمكن لأيّ شيء آخر أن يحقّق ذلك بالقدر الذي يفعله عزاء سيّد الشهداء عليه السلام.

المبحث الثاني

النظريات التي فسرت ثورة سيدنا الإمام الحسين عليه السلام

أولاً: نظرية الصراع القبلي: تعتمد فروض هذه النظرية على إن ثورة سيدنا الإمام الحسين عليه السلام لا تعدوا كونها صراعا قبليا بين فرعين من قريش على الهيمنة والزعامة في المجتمع الإسلامي وهذا ما أراد إن يشيعه يزيد وإتباعه بين الناس وما يؤكد هذا الطرح قول يزيد نفسه:

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

فنهضة الإمام الحسين عليه السلام لم تكن ذات مبادئ أو وجهة نظر تحدد ملامحها بل حصرت وفق هذه النظرية بالبعد القبلي، وجيش الإمام الحسين عليه السلام لم يكن جيشا هاشميا بحتا بل كان فيه السيد والعبد والعربي والأعجمي بل إن الجيش ضم حتى من كان بالأمس القريب بالمعسكر الآخر ونعني به زهير بن القين فلو لم إن كان الحق جليا واستيقن قلب هذا الرجل بأحقية المبدأ الذي خرج لأجله الإمام الحسين عليه السلام - ورحمة الله به بلا شك - لما خالف هذا المعسكر الذي تربى على يديه بل وقاتل من اجله مع معاوية لينقلب موقفه بعد إن أدرك حقيقة الأمر ليقاتل ابنه يزيد مع الإمام الحسين عليه السلام، حقيقة الموقف هذه دفعت كذلك بعض قادة جيش يزيد إلى الانقلاب عليه والانضمام إلى معسكر الإمام الحسين عليه السلام كالحر

الرياحي مثلا الذي أدرك أن المعركة ليست خروج على ولي الأمر أو طلب الهاشميين للدور الريادي في قيادة الأمة كما كانت تشيع الأبواق الإعلامية ليزيد آنذاك، بل كانت معركة مصير تحدد مستقبل الإسلام فضلا عن مستقبله الشخصي ليس من منظور دنيوي فحسب بل من منظور أخروي ايضا فهذه المعركة فهمها الحر كما كان يفهمها كل من كان في معسكر الإمام الحسين عليه السلام أنها قسيمة رضا الله أو سخطه وبالنتيجة فهي قسيمة الجنة والنار، وهو الأمر الذي كان يدركه عمر بن سعد ايضا ولكن حبه للدنيا وملذاتها أعمى بصيرته فباء بسخط الله سبحانه والناس أجمعين (اسماعيل،٢٠٠٨: ٦)

وتعتقد الباحثة ان محاولة اختزال الثورة الحسينية المباركة بهذا البعد الهامشي أمرا لا ينبغي التعويل عليه فلا يمكن تصور ان سيدنا الإمام الحسين عليه السلام يقوم بتحرك كهذا لغرض دنيوي من قبيل التماس جاه أو سيادة قبلية فليس هناك عاقل ينكر ما لبني هاشم من دور ديني ريادي قبل الإسلام وبعده.

ثانياً: نظرية الصراع على السلطة: فسرت هذه النظرية حركة سيدنا الإمام الحسين عليه السلام على إنها حركة سياسية محضة تمثل صراعا على السلطة، حاول من خلالها سيدنا الإمام الحسين عليه السلام السيطرة على الحكم وإقامة النظام الإسلامي الصحيح مستغلا بذلك الضعف السياسي والعزلة الاجتماعية التي كان يعاني منها يزيد خاصة مع الرفض - أو التردد - في البيعة له من بعض الصحابة والتابعين بسبب ما عرف عن يزيد من عدم التزام بمبادئ الإسلام بل بتعديه على بعض أوامره وأركانه، وتخلص هذه النظرية إلى إن هذه الثورة أجهضت بفعل خذلان الناصر وما صورته على إن خيانة أهل الكوفة وترددهم عن دعم الثورة كان سببا في فشل الثورة بتحقيق مبادئها (يوسف،١٤١٨: ٩٩).

ثالثاً: نظرية العامل الأخلاقي: يطرح البعض تفسيرا آخر لثورة الحسين عليه السلام ويربطها بالعامل الأخلاقي، فالإمام الحسين عليه السلام وفق فروض النظرية كان سيدا عربيا أبيا عزيزا شريفا له مكانته الاجتماعية المرموقة في المجتمع الإسلامي فضلا عن مكانته الدينية المعروفة التي لا ينازعه عليها منازع مهما كان شرفه ومكانته بالمجتمع فكيف به يرضى بمبايعة يزيد ويوطئ لحكمه والناس تعرف من هو يزيد، لذا فالإمام

الحسين عليه السلام قام بثورته هذه بدافع أخلاقي بحت وقد استدل أصحاب هذه النظرية على ذلك بقوله عليه السلام: ((والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر لكم إقرار العبيد)) وكذلك بقوله: الشريف، بحق يزيد ((يزيد رجل شارب الخمور وقاتل النفس المحترمة ومعلن الفسق ومثلي لا يبايع مثله))، لذا عد أصحاب هذه النظرية أن الإمام الحسين عليه السلام إنما قام بثورته هذه بدافع شخصي يتمثل بالذب عن كرامته والحفاظ على مكانته السامية بين الناس (اسماعيل، ٢٠٠٨: ٧)

وتعتقد الباحثة ان ثورة سيدنا الإمام الحسين عليه السلام كانت أخلاقية بمعناها الاسلامي وليس الشخصي ويبدو ذلك من خلال مطلبين الاول تمثل ببكاءه عليه السلام على من وقف مصرا على قتاله وعلل ذلك بأنه عليه السلام يبكي لأنهم سيدخلون النار بموقفهم هذا فأي إنسان يحزن لمصير أعدائه وأي موقف أخلاقي هذا، ثم أليس الحفاظ على العهود والوفاء بالوعود وحفظ الأمانات وأدائها إلى أهلها مقاصد إسلامية كونها من الأخلاق الحميدة التي جاء الإسلام ليؤكد دورها في حفظ المجتمعات من الانحراف بل الم يعتبر الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله خلاف ذلك نفاقا بقوله الشريف ((آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد اخلف، وإذا اؤتمن خان))، وحيث إن ولاية يزيد للأمر كانت تضييعا لكل تلك الأخلاقيات ممن مكنه من رقاب الناس مع علمه بعدم أحقيته السياسية فضلا عن الشرعية لتولي حكم المسلمين لذا كانت حركته عليه السلام ثورة لترسيخ المفاهيم الأخلاقية المشار اليها أعلاه في المجتمع الإسلام - تلك المفاهيم التي حاولت ان تغيبها سلطة يزيد ومن حكم قبله من بني أمية - كيف لا وهو السيد العربي وابن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله الذي يقول: ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)) وقد أشار عليه السلام للمعسكر الآخر في معرض نصحه لهم ان الحفاظ على الوعود والعهود أخلاقا عربيه قبل ان تكون إسلامية وذلك بقوله عليه السلام: ((كونوا عربا)).

رابعاً: نظرية القضية الغيبية: يربط أصحاب النظرية الرابعة في تفسير ثورة الإمام الحسين عليه السلام هذه الثورة بالغيب في المنهج والقصد والنتيجة وتقوم فروض هذه النظرية على إن نهضته واستشهاده عليه السلام إنما هي قضية غيبية وان الله قدر للإمام عليه السلام إن يقتل بأرض كربلاء واستدلوا على ذلك بالروايات الكثيرة التي تذكر تفاصيل استشهاده عليه السلام سواء الصادرة عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله أم عن

سيدنا الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أم حتى تلك الصادرة عن سيدنا الإمام الحسين عليه السلام نفسه ونكتفي هنا بذكر الرواية المشهورة عنه عليه السلام لما سأل عن العلة في اصطحابه لنساء بيت النبوة معه وهو يدرك حقيقة نهاية الثورة بقوله عليه السلام: ((شاء الله إن يراهن سبايا))، لذا عد أصحاب هذه النظرية إن حركة الإمام الحسين عليه السلام تخصه وحده وان واجب المسلمين استذكار هذه المناسبة كلما حلت بإقامة المجالس الحسينية وعمارتها بالبكاء وإقامة الموائد وتقديم الطعام للفقراء بقصد الثواب من غير إن يكون لها صلة بالواقع الذي تعيشه المجتمعات البشرية ومحاولة تغييره (المصدر نفسه).

خامساً: نظرية الموقف الشرعي: يذكر أصحاب هذه النظرية في تفسير ثورة الإمام الحسين عليه السلام أنها ثورة جاءت لتؤطر تثبيت الموقف الشرعي تجاه ظاهرة الظلم والطغيان والمحافظة على وجود الرسالة المحمدية فضلا عن دعوتها إلى تحديد حالة الأمة وتحديد مشاكلها السياسية والاجتماعية والنفسية وسبل معالجتها ويستدل أصحاب هذه النظرية بقوله عليه السلام في وصيته لأخيه محمد بن الحنفية ((إني لم اخرج أشرا ولا بطرا ولا ظالما ولا مفسدا وانما خرجت لطلب الإصلاح في امة جدي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق ومن رد علي هذا اصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم وهو خير الحاكمين)) (http://www.alkafeel.net)

لقد كان سيدنا الإمام الحسين عليه السلام يمثل الضمير الحي للأمة الإسلامية والعقل الواعي والمدرك للأخطار التي تهدد الأمة لذا كان الفهم النظري لأهمية حركته عليه السلام ضد يزيد فحول الإمام عليه السلام هذا الفهم إلى واقع عملي ووظيفة شرعية واضحة المعالم تحرك الناس وتدفعهم لمحاربة الظلم والذل والخضوع والاستسلام للأمر الواقع، لذا كانت الثورة الحسينية واستشهاده عليه السلام بمثابة الزلزال الذي أصاب الأمة الإسلامية في دينها فغير من إدراكها وأفاقها من غفلتها بل كانت السبيل لإيقاظ الضمائر وتحريك المشاعر والأحاسيس، فبات أكيدا للإمام الحسين عليه السلام وفي ظل قراءته السليمة للمجتمع الاسلامي آنذاك المرتكزة على أسس وبراهين علمية دقيقة تدل على إن الناس يعيشون في غفلة بحيث لا يمكن إن يتحركوا

ضد الظلم الجاثم على صدورهم بالخطب والدعاء خاصة بعد إن ركنوا إلى الخضوع والاستسلام بفعل الحكم الاستبدادي القائم على الظلم والإكراه وفرض الأمور على الأمة بالإرهاب الفكري والمادي فما كان منه عليه السلام إلا أن خطط لثورته بأسلوب فريد لا يملك من يسمع أو يقرأ سيرتها إلا إن يقف منتفضا ضد الظلم عبر التاريخ، فلإمام الحسين عليه السلام لم يتحرك بشكل عشوائي كما يعتقد البعض بل على العكس من ذلك فقد كان عالما بما يقدم عليه لذا خطط لثورته بشكل جدي حتى لا يتقول البعض أن حركته كانت عملية انتحار أو رد فعل لرفض الظلم والذل، وهنالك بعض الشواهد منها إتباع الإمام عليه السلام مبدأ العلنية في خروجه من المدينة إلى مكة بعد موقفه المشهور مع واليها بخصوص البيعة، كما كان الانتقال إلى مكة وفي موسم الحج يعني نشر أفكاره عليه السلام عبر الاتصال بجمهور المسلمين في موسم الحج كما أن مكوثه في مكة المكرمة لفترة من الوقت أتاحت له حرية التواصل مع الناس في الأمصار المختلفة عبر الرسائل التي عبر لهم فيها عن تطلعاته إلى مستقبل الأمة شارحا ما يحيط بهم من أحداق في ظل سلطة تؤسس من خلال رأسها إلى إفراغ الدين الإسلامي من فحواه وتعاليمه عبر التشريع لفكر جديد يشرع الخنوع والتذلل للحاكم، وهنا يبدوا مطلب التخطيط واضحا في الثورة الحسينية، فلإمام الحسين عليه السلام استخدم الإعلام بشكل واضح في ثورته كما أن إرسال مسلم بن عقيل عليه السلام إلى الكوفة كان الجانب الإعلامي واحدا من المهام - فضلا عن المهام الأخرى - التي أراد عليه السلام من مسلم ان يؤديها فيها وبفضل هذا التخطيط الإعلامي أصبح المسلمون على علم بهذه الثورة، ولعمري أن ذلك يدلل على الحنكة السياسية للإمام الحسين عليه السلام فبهذا التخطيط المتقن للثورة ألقى الحجة على الجميع وترك إجابة الدعوة رهنا بالضمائر (عثمان،٢٠٠٨: بلا).

سادساً: نظرية تولستوي: تؤكد هذه النظرية على ان الثائر المصلح الذي يتخذ الحب الأسمى والإيثار نبراساً له في هذه الحياة يجب ان لا يتبع سبيل الهجوم وسفك الدماء لإنجاح ثورته والسير بها لأنه بذلك سيكون مجرماً اجتماعياً بينما غايته هي انقاذ المجتمع من الجرائم ومن سفك الدماء، اجل ان الثائر الأمجد ينبغي ان يسير في مقاومته هادئاً مبتسماً حتى إذا قابله اعداؤه بالسيف أستقبل ذلك بالصبر والتحمل فلابد اذ ذاك أن تكون النتيجة له والخسران على اعداءه الغاشمين، ان

النصر لاريب آتٍ اليه، ان الامام الحسين عليه السلام قبل اثني عشر قرناً جاء بمثل هذه النظرية عملياً وطبقها على نفسه وبذا نال بغيته الاجتماعية كما تنبأ تولستوي من بعده إذ بعث في الأمة ذلك الأثر الخالد العظيم (http://www.ihplib.org)

سابعاً: النظريّة التطوّرية للدموع: والتي تتلخص في كون البشر يَبكُونَ لجذب الانتباه لحاجتهم للمساعدة والحماية عند الشعور بالحزن والخطر، إن الدموع حينما تُذرف، يكون لها تأثير قوي في الآخرين، وقوية لدرجة أن البكاء يُفهم على أنه ليس فقط تعبير عن مشاعر داخلية، بل أيضاً كنوع من الاتصال الاجتماعي والطريقة التي يتم بها ما إذا كان البكاء ناتجاً عن غضب أو عن حزن، وربما الأهم في تلك العوامل هو تحليل ما يقرأه الشخص المُشاهد لدموع البالغ حينما يبكي في كونها إما حقيقية وصادقة أو أنها تلاعب وزيف، إن وجود الدموع رفع من مستوى الإنفعالية التي وجدها المشاركون في الصور، وضَيّق من نطاق الأجوبة التي قدّمها المشاركون، فأصبحوا أكثر قدرةً على فهم الحالة الإنفعالية للشخص بالصورة، وقد عبّر معظم المشاركون في الدراسة أنّهم شعروا بعواطف من الحزن والأسى عند وجود الدموع في الصور، كما أن الدموع تنقل معلومات دقيقة جداً حول ماهيّة شعور الشخص والكيفية التي يريد أن يُعامل بها من قبل الآخرين، وتطوّر البكاء كنوع من الإشارات، ذات قيمة والتي يمكن التقاطها من قبل الأشخاص القريبين منا بما يكفي ليلاحظوا دموعنا، والذين سيكونون الأكثر قابليةً لتقديم المساعدة إلينا، فمن المحتمل أنَ البكاء قد تم تفضيله من قبل "الإنتقاء الطبيعي" لأنّه يحفّز سلوك تقديم المساعدة لدى الآخرين، والتفسير الذي قدّمه العلماء هو أنَ سلوك البكاء يشبهُ إلى حدٍ كبيرٍ، بل يحاكي بعض الخصائص الإدراكية للطفل المولود حديثاً، مثل رطوبة الوجه، تعابير الوجه، والأصوات التنفسية، الصراخ وإغلاق العينين. وحيث أنَ الأهل والناس بشكلٍ عام "مبرمجون" للشعور بالحاجة الى المساعدة والحماية عندما يرون ويسمعون طفل حديث الولادة، فحينَ يكون شخص ما بحاجة إلى المساعدة والدعم، فإنّه يبدأ تلقائياً بمحاكاة سلوك "حديثي الولادة" للحصول

على استجابةٍ مماثلةٍ من الآخرين تتمثل في تقديم المساعدة والحماية. وحقيقةً أنَّ البكاء لدى حديثي الولادة يبدأ مباشرة بعد الولادة وليس بعد أسابيع أو أشهر لا تتعارض مع هذه النظريّة بل على العكس تدعمها وهنالك افتراضٌ آخر يشير إلى أنَ البكاء يلعبُ دوراً في حصول الشخص على ما يريد، وهذ الافتراض تدعمه أيضاً فكرة لجوء الأطفال للبكاء للحصول على ما يريدون، وغالباً ما يحصلون على نتائج مرضية لأن صوت بكائهم يعمل كتنبيه لمن حولهم بأنهم يحتاجون شيئاً ما (زاهر،٢٠٠٢: بلا).

المبحث الأول

بكاء الملائكة والأنبياء والنبيّ وأهل البيت عليهم السلام على الإمام الحسين عليه السلام

١. عن الإمام الصادق عليه السلام: "لما كان من أمر الحسين عليه السلام ما كان ضجَّت الملائكة إلى الله بالبكاء وقالت :يُفعل هذا بالحسين صفيِّك وابن نبيِّك، قال: فأقام الله لهم ظلّ القائم عليه السلام وقال: بهذا أنتقم لهذا" (أصول الكافي ج ١ ص ٤٦٥).

٢. بكاء النبيّ صلى الله عليه وآله: لّما أخبر النبيّ بأنّ السيّدة فاطمة تلد الإمام الحسين عليه السلام، أخبر أيضاً بشهادته، فبكى فلمّا وضعه وأُتي به إليه في تلك الساعة وهو ملفوف في خرقة، أذّن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى، ثمّ وضعه في حجره، ونظر إليه ورثاه وبكى وهو يقول" :سيكون لك حديث، اللهمّ العن قاتله"، ثمّ لما أتى عليه سبعة أيّام عقّ عنه كبشاً أملح، وحلق رأسه وتصدّق بوزن الشعر ورقاً، وخلّق رأسه بالخلوق (طيب مركّب من الزعفران) ثمّ وضعه في حجره ورثاه وبكى وهو يقول: "يا أبا عبد الله، عزيز عليّ" ثمّ بكى. ثمّ قال: "اللهمّ إنّي أسألك فيما سألك إبراهيم عليه السلام في ذريّته، اللهمّ إنّي أُحبّهما وأُحبّ من يحبّهما، والعن من يبغضهما ملء السماء والأرض" (بحار الأنوار ج٤٤ ص٢٥١).

٣. بكاء أمير المؤمنين :عليه السلامعن ابن عبّاس قال: كنت مع أمير المؤمنين عليه السلام في خروجه إلى صفّين، فلمّا نزل بنينوى وهو شطّ الفرات، قال بأعلى صوته: "يا بن عبّاس، أتعرف هذا الموضع؟" قلت له: ما أعرفه يا أمير المؤمنين فقال عليّ عليه السلام: "لو عرفته كمعرفتي لم تكن تجوزه حتّى تبكي كبكائي ."قال: فبكى طويلاً حتّى اخضلّت

لحيته، وسالت الدموع على صدره، وبكينا معاً وهو يقول" :أوه أوه، مالي ولآل أبي سفيان؟ مالي ولآل حرب حزب الشيطان وأولياء الكفر؟ صبراً يا أبا عبد الله فقد لقي أبوك مثل الذي تلقى منهم" (أمالي الشيخ الصدوق ص٦٩٤)

٤. مجلس الزهراء عليها السلام يوم القيامة: فقد ورد أنّ السيّدة الزهراء عليها السلام حينما تكون في ساحة المحشر تنظر إلى ولدها الحسين عليه السلام بلا رأس فتصرخ ومعها خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وكلّ الأنبياء عليهم السلام الصالحين والمؤمنين (بحار الأنوار ج٧، ص١٢٧).

٥. الإمام الحسن :عليه السلامويكى الإمام الحسن عليه السلام أخاه الحسين عليه السلام وذلك حين حضره الموت، وظهر السمّ في جميع أعضائه، وخرج كبده مقطّعاً، فأتى إليه الإمام الحسين عليه السلام واعتنقه وجعل يبكي، فقال له الإمام الحسن عليه السلام: "ما يبكيك يا أبا عبد الله؟"، قال" :أبكي لما صنع بك ."فقال له الإمام الحسن عليه السلام: ولكن لا يوم كيومك يا أبا عبد الله، يزدلف إليك ثلاثون ألف رجل يدّعون أنّهم أمّة جدّنا محمّد صلى الله عليه وآله وينتحلون دين الإسلام، ويجتمعون على قتلك وسفك دمك وانتهاك حرمتك، وسبي ذراريك ونسائك، وانتهاك ثقلك، فعندها تحلّ ببني أميّة اللعنة، وتمطرُ السماء رماداً ودماً، ويبكي عليك كلّ شيء حتّى الوحوش في الفلوات والحيتان في البحار" (أمالي الشيخ الصدوق ص ١٧٧)

٦. السيّدة زينب عليها السلام: رغم شجاعة السيّدة زينب عليها السلام وصلابتها في كربلاء لم يمنعاها من التأثّر والبكاء عند المصيبة الكبرى والفاجعة العظمى، فقد ذكر الرواة أنّها لمّا نظرت إلى جسد الحسين عليه السلام وهو بتلك الحالة، معفّر بدمائه مفقود من أحبّائه وندبت عليه بصوت مشج وقلب مقروح: "يا محمّداه صلّى عليك مليك السماء وهذا حسين مرمّل بالدماء مقطّع الأعضاء، وبناتك سبايا، إلى الله المشتكى وإلى عليّ المرتضى وإلى فاطمة الزهراء وإلى حمزة سيّد الشهداء، هذا حسين بالعراء تسفي عليه الصبا قتيل أولاد الأدعياء، واحزناه! واكرباه! اليوم مات جدّي رسول الله، يا أصحاب محمّداه، هؤلاء ذريّة المصطفى يساقون سوق السبايا. فأذابت القلوب القاسية والجبال الراسية (مثير الأحزان ص ٥٩).

المبحث الثاني

سيكولوجيا البكاء ـ فوائده واضراره

البكاء بشكل عام حتى في غير الإمام الحسين عليه السلام يمثل حالة إنسانية مرتبطة بالإنسان بما هو إنسان لا بما هو رجل، فالإنسان خلقه الله (عزّ وجل) ضمن تركيبة مزج فيها العقل والعاطفة، وكما الإنسان بحاجة إلى العقل فهو بحاجة إلى العاطفة لأنه من خلالها يندفع نحو التحرك لما يدعو إليه العقل، فالعقل مثلا يقدر أنه يجب أن ندافع عن هذا المعتقد ولكن هذا التقدير غير كاف، ولولا وجود العاطفة لما تحرك الإنسان لتنفيذ ما توصل إليه العقل، والعاطفة كما تحتوي على الأحزان كذلك على الأفراح، ولكل واحد منهما مظاهره وتعابيره، فإذا ما فرح المرء عبر عن فرحه بالضحك والتبسم، وإذا ما حزن بكى وفارق الضحك، والإنسان الذي لا يبكي سواء كان رجلا أم امرأة يعتبر غير سوي وقسي القلب، وذلك لأن البكاء يمثل بروزا وتعبيرا للعاطفة الموجودة في الإنسان والتي تقوم الحياة على أساسها، فالحياة إذا عدمت فيها العواطف تحولت إلى غابة يأكل فيها الإنسان أخاه (جريدة المدى،٢٠١٢).

أما من الناحية النفسية، فالبكاء المخرج الأفضل لكل التوترات النفسية والانفعالات لأنه لو أخفى الإنسان هذه التغيرات النفسية والعصبية بداعي الرجولة والخوف من الضعف أمام الآخرين أو الشعور بالانهزامية. فهنا تكمن الخطورة، إذ سيعاني من العقد والمشكلات التي يزخر بها الطب النفسي، أو الطبية حيث سيؤدي ذلك لارتفاع ضغط الدم المنتشر كثيراً هذه الأيام وربما لإظهار داء السكري إذا كانت عنده ميول أو تاريخ اسري للسكري، كذلك حبس البكاء والمشاعر كثيراً ما يؤدي إلى تقرح بالمعدة وأمراض القولون العصبي ولهذا نجد أن النساء وهن أكثر قدرة على البكاء بسبب الاختلاف الفسيولوجي والهرموني عن الرجال ولأن البكاء ربما يكون مظهراً مقبولاً من السيدة كتعبير عن الرقة أو الضعف أو الشفافية لهذا نجد أنهن اقل عرضة لكثير من الأمراض التي تنجم عن عدم البكاء (المصدر نفسه).

ولاحظ الباحثون أمراً مهماً، وهو أن الأشخاص الذين ينالون دعماً اجتماعياً، من شريك الحياة أو أحد الأقارب أو الأصدقاء، خلال نوبة البكاء، هم أكثر احتمالاً للشعور بالراحة والطمأنينة بُعيد ذلك، كما أن العلماء حتى اليوم لم يتوصلوا إلى معرفة تفاصيل

واضحة حول حقيقة فوائد البكاء، وفي جانب كان السبب وراء عدم اتضاح الصورة هو كيفية إجرائهم للدراسة العلمية حول البكاء، وأضاف الباحثون، أن ثمة عدة تحديات معيقة للتوصل إلى دقّة في النتائج عند إجراء دراسات على البكاء في داخل المختبرات ذلك أن هؤلاء المتطوعين للمشاركة في الدراسة بالمختبر، الذين يتم عليهم رصد البكاء وتأثيراته، لا يذكرون عادة أنهم أحسّوا بالتطهر والنقاء بُعيد نوبة البكاء التي تحصل نتيجة للتحفيز عليها في المختبر، كما لا يذكرون بأنهم شعروا بحال أفضل وعلى العكس، فإن تحفيز الإنسان على البكاء في داخل المختبر يجعله يشعر بالسوء بعيد ذلك. وعلل الباحثون ذلك، الذي ظهر في دراسات البكاء السابقة التي تمت في المختبرات، بأن الشخص يُعايش في المختبر ظروفاً مُجهدة وتتسبب له بالتوتر، مثل تصوير بكائه وما يصدر عنه آنذاك بكاميرات الفيديو، ومعلوم أن المرء الطبيعي يخجل عادة من رؤية الغير له وهو يبكي، ناهيك عن تسجيل ذلك له بالصوت والصورة. ومثل إحساس المرء الباكي بأنه مُراقب من الباحثين ومن مساعديهم، ومعلوم أن هؤلاء قد لا يعنيهم ذلك الشخص وقد لا يتعاطفون مع مشاعره، وهو ما يعلمه الشخص الذي تُجرى عليه التجربة البكائية. وبالنتيجة فإن هذه المشاعر النفسية السلبية ستتغلب في أكثر الأحوال على المشاعر الإيجابية التي قد يُخلفها البكاء لدى الإنسان (المصدر نفسه).

وهذا "الخلل" المنهجي لطريقة البحث حول تأثيرات البكاء، أي إجراء الدراسة عليه في المختبرات وعلى أشخاص تم تحفيز البكاء لديهم بطريقة اصطناعية، هو في الغالب ما أدى إلى عدم توصل الباحثين إلى نتائج تُقارب الواقع المُشاهد في استفادة الكثيرين من البكاء، خاصة عند توفر التعاطف الاجتماعي معهم حال ذلك، ومع ذلك، فإن دراسات البكاء هذه التي تمت في المختبرات، قدّمت لنا نتائج لافتة للنظر ومهمة حول التأثيرات العضوية الفسيولوجية للبكاء في مختلف أجهزة وأعضاء الجسم، ومن ذلك أن البكاء له تأثير مُهدئ ومُسكن للتنفس، وله أيضاً تأثيرات غير مُريحة، كزيادة نبضات القلب وزيادة إفراز العرق والتوتر. لكن ما توصلت الدراسات السابقة إليه في الجانب العضوي أن التأثيرات المُسكّنة للبكاء تستمر فترة أطول من التأثيرات غير المُريحة وهذا ما يُبرر لنا سبب تذكر الناس الجانب المُريح للبكاء ونسيانهم الجانب غير المُريح فيه (يوسف:١٤١٨: ٩٩).

بكاء الرجل والمرأة: ومما هو ملاحظ أن المجتمعات لا تتقبل بكاء الشخص البالغ، أسوة

بتقبلها بكاء الطفل الصغير، وتزداد الأمور تعقيداً في بعض المجتمعات عند تفشي اعتقاد أفرادها أن البكاء للنساء وللأطفال فقط، وتراه من "العيب" على الرجل بالذات، إن إثارة حصول البكاء بالمشاعر العاطفية، هو إحدى الصفات المميزة للبشر، ودموع الشخص البالغ يُمكنها أن تكون وسيلة قوية للحصول على اهتمام وعطف الغير، لكننا نجد أن الدموع مثيرة للريبة أو الازدراء بخصوص الدوافع والمحفزات لدى الشخص الباكي (شيلدس، ٢٠٠٥:٩٨)، ويتميز الرجل بغلبة جانب العقل على جانب العاطفة لا بانعدام العاطفة حتى يكون البكاء في حقه معيبا، فالأب الذي لا يبكي على فراق ابنه لا يعد متوازنا في سلوكه، لأنه لا يبدي أي تفاعل يظهر من خلاله وجود علاقة له بابنه، ومن الواضح أن الناس لا يكتفون بدعوى وجود العاطفة والعلاقة والمحبة إذا لم تبرز في السلوك والمظهر، فالأب الذي لا يشفق على ابنه ولا يقبله ولا يأخذه إلى المستشفى إذا ما مرض لا يكون مقبولا دعواه حب ابنه، والإنسان الذي يدعي محبة الله (عزّ وجل) ولم تظهر هذه المحبة في سلوكه بما في ذلك البكاء فإنه يعتبر غير سوي في البعد العاطفي (http://society.ahlabaht.org)، وقد جاء في الرواية التي رواها الكليني بسند صحيح عند جم من علمائنا عن السكوني عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من علامات الشقاء جمود العين وقسوة القلب وشدة الحرص في طلب الدنيا والإصرار على الذنب (الكافي، ج/ص٢٩٠)

إن الاختلال في شخصية الرجل يكون بإلغاء جانب العاطفة فيه وعدم البكاء في المواضع التي ينبغي للعاطفة أن تبرز فيها، كما أن الاختلال يكون فيه أيضا إذا ما تسببت العاطفة في إلغاء أو تضعيف جانب العقل الذي يتميز به عن المرأة التي تتميز بغلبة جانب العاطفة فيها.

ومصيبة الإمام الحسين عليه السلام من المصائب العظيمة التي تهز الوجدان الإنساني السوي باعتباره إنسانا بغض النظر عن كون صاحبه مسلما أم غير مسلم، ذكرا أو أنثى، وقد بلغت حدا أن تأثر بها النظام الكوني، وأن بكى لأجلها الأنبياء بما فيهم نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام قبل وقوعها، وجدير بكل إنسان أن يبكي لأجلها (يوسف، ٢٠١٢: بلا)

وكشفت دراسة ألمانية أجرتها الرابطة الألمانية لأطباء العيون عن أن النساء يبكين بمعدل يزيد عشرة أضعاف عن معدل بكاء الرجال إذ تبكى المرأة في المتوسط نحو(٦٤) مرة في العام

مقابل(٦) مرات فقط للرجل خلال نفس الفترة، ونقلت صحيفة ليبراسيون الفرنسية عن نفس الدراسة أن المرأة لا تبكى فقط أكثر من الرجل بل إن مدة بكائها تزيد عن فترة بكاء الرجل بمعدل خمسة أضعاف وبطريقة أكثر دراماتيكية كما لو كان الهدف من البكاء هو كسب التعاطف وليس التعبير عن الحزن.

كما كشفت ايضا أن الأولاد والبنات يتساوين تقريبا في عدد مرات البكاء في مرحلة الطفولة قبل أن تبدأ الفجوة في الاتساع بين الجنسين في مرحلة البلوغ وما بعد البلوغ، وصرحت البروفسير اليزابيث ميسمير أستاذة أمراض العيون بجامعة لوديون ماكسيميلين بميونخ والتي أشرفت على الدراسة أن سبب زيادة معدلات بكاء المرأة عن الرجل يرجع إلى أن المرأة تبكى في حالات لا يبكى غالبا الرجل فيها، فالمرأة تبادر على الفور بالبكاء لو شعرت أنها لم تكن على المستوى المطلوب في مواجهة موقف ما أو عندما تجد نفسها فجأة في نزاع يصعب حله أو عندما تتذكر قصة عاطفية فاشلة أو حتى ناجحة كانت خاضتها في الماضي، أما الرجال فيكثر بكاؤهم على فقدان أحد المقربين أو فشل علاقة عاطفية لا سيما لو كان الغرض من هذه العلاقة هو الارتباط بالحبيبة المفقودة (المصدر نفسه).

واكد علماء النفس ان الرجل عندما يبكي يعود الى مرحلة الطفولة ويحتاج الى اي شخص قريب منه يقف بجانبه وهو في اشد الحاجة الى الحب والعطف وان الرجال لا يجدون تنفيسا عن الحزن الا بالدموع والشعور بالراحة بعد ذلك، وبكاء المرآة اكثر من الرجل لان ذلك في تكونها الفسيولوجي وليها هرمون البرولاكتين اكثر من الرجل بنسبة ٦٠٪ وهو المسؤول عن حالة التوتر والحزن وعندما يرتفع في الجسم يؤدي للبكاء لأتفه الاسباب، وكلما تقدم الانسان في العمر نظر الى متاعب الحياة وهمومها بمنظار منطقي وعقلاني بعيداً عن الدموع والتي قد تخفي وراءها رجلاً يتمتع بكتلة من الأحاسيس والمشاعر، فدموع الرجل لا تدل على الضعف ولكنها قوة ودليل على مشاعره الحقيقية غير المزيفة عند فراق الأحبة أو تعرضه لموقف حزن، ولابد من تساقط بعض الدموع عند الحاجة للتنفيس بدلاً من كبتها ليعكس هذا الكبت أمراضاً في غنى عنها، والله سبحانه وتعالى اعطى لنا امكانية البكاء، وقال أن من أصحاب الفضل العين التي تبكى خشية الله، وكما تستخدم الأنثي البكاء كسلاح، يمكن للرجل أيضاً استخدامه كسلاح، فالرجل هو الذى لا يخشى ان يعبر

عـن مشـاعره بالطريقـة الـتي وهبهـا الله لـه في الوقـت المناسـب وبالشـكل المناسـب (المطبعي،٢٠١٢) (http://www.narjesmag.com)

كما إن البكاء كالابتسامة، فالإبتسامة توظف بأكثر من شكل، فهي ممكن تكون تعبير عن الفرحة، أو لسماع نكتة، أو استهزاء بأحد، مجاملة، وممكن أن تكون صفراء، فالدموع هي أيضاً كذلك، وحبسها يؤدى الى عقد نفسية مثلها كمثل الإنسان الذي لا يضحك.

إن الرجل في كثير من الأحيان يواجه بعض الضغوط التي من الممكن أن تجعل دموعه تتفجر، ولكن بعيداً عن جميع الأنظار، وخاصة أنظار المرأة، لأن الرجل عندما يبكي لا يحب أن يري أحد دموعه، كما أنه من الممكن أن يبكي لفقدان حبيب أو صديق أو قريب، لأن الرجل إنسان له مشاعر وأحاسيس، فالعواطف ليست قاصرة على النساء فقط، ولكنها مشاعر إنسانية للرجل والمرأة، ولكن الرجل اكثر تحمكاً فيها فقط ليس إلا (شيلدس،٢٠٠٥:٩٨).

ويؤكد الأطباء أن معظم توترات الأعصاب والعنف لدي الرجال تعود إلى أن الرجل يحرم نفسه من نعمة البكاء، ولو جمعت دموع الرجال الذين بكوا في العيادات النفسية أو في حياتنا الاجتماعية، لكانت انهاراً، وعلمياً دموع الإنسان طوال عمره تعادل قرابة (٢٣) سطلاً. إلا ان دموع الرجل تقترن عادة بما يريد، بينما دموع النساء لا تحتاج سبب، فمن الممكن أن أغنية تبكيهن، فكرة تبكيهن، والظلم يبكيهن، وفيلم سينمائي يبكيهن، فالنساء يبحثن عن أي سبب يبكيهن حتى يسيل هذا الحمام الروحي الذي يطهر الوجع وينقي النفس ويجعل البدن أكثر صحة.والمشكلة هي أن كثيراً من النساء لسن مؤهلات لتقبل دموع الرجال نظراً لثقافة المجتمع الذي يفرض عليهم هذا الاعتقاد (رضوان،٢٠٠٠:٦٥).

ومن ناحية أخرى تؤكد لنا الدراسات في نفس المجال بأن سر شباب المرأة في "دموعها" فهي سر احتفاظها برونقها وجمالها مقارنة بالرجل، فالدموع تخرج مما يكمن في الذهن من حاجات وأسرار وقد يصعب تحليلها في بعض الأحيان، وكبتها يضاعف من حجم التوتر النفسي، مما يؤدى إلي الاصابة بالصداع المزمن وارتفاع ضغط الدم وربما قرحة المعدة وأمراض القلب (http://forum.sedty.com)

ويؤكد العلم الحديث أن المرأة أكثر بكاء من الرجل بسبب زيادة عدد الغدد الدمعية لديها وغزارة إفرازاتها عن الرجل، والحقيقة أن الدموع تاج على رأس المرأة لا يعرفه إلا الرجل، فالمرأة عندما تبكى فإنها تخفف من توترها العصبي وترتاح بدموعها، ولذلك فالدموع لها نعمة، أما الرجل فإنه لا يعرف كيف يبكى، فالتربية الشرقية تزرع بداخله منذ الطفولة أن الدموع للنساء وأنها ضعف وعيب يجب أن يخجل منه، ولذلك فالرجل يغلى من الداخل تماماً كإناء يغلى ويتبخر ويحتبس بخاره بداخله، أما الغليان داخل المرأة فيتحول إلى قطرات دموع تنفس بها عما بداخلها من غليان، لذلك تنفجر المرأة بالدموع، ولكن الرجل ينفجر فقط، وقد يموت الرجل من هَمٍّ واحد ينفجر بداخله، ولا تموت المرأة من عشرات الهموم، لأنها تبكى فتريح أعصابها أولاً بأول، لذلك يقول بعض الفلاسفة أن المرأة أطول عمراً من الرجل لأنها أكثر منه بكاء وأغزر دمعاً، فالبكاء نوع من التفريغ النفسي الذى يريح أعصاب المرأة ويجعلها أصح وأسلم من الرجل الذى أعتاد ألا يبكى - بحكم التربية - وهى غلطة تربوية كبيرة، فيجب أن نترك الطفل يبكى ففي ذلك تخفيف من توتره العصبي، فالبكاء سلوك صحى وعلاج سريع لأغلب المتاعب النفسية (الأنصاري، ٢٠٠٠: ٧٨).

إن ثمة تحولاً حصل في السنين القليلة الماضية عن نظرة الحكم بالاستنكار لبكاء الرجل، وهي النظرة التي أكدت الدراسات النفسية شيوعها بين الناس في ثمانينات القرن الماضي، وأضافت بأن اليوم يُنظر إلى دموع النساء والرجال على أنها مقبولة في الحالات الشديدة، كوفاة الحبيب أو انتهاء علاقة عاطفية، التي لا قدرة للإنسان على ضبط تفاعله العاطفي إزاءها. بينما تظل غير مقبولة في الحالات الأقل شدة، كتحطم الكومبيوتر أو اصطدام السيارة. لذا لاحظت الباحثة في دراستها أن النظرة الاجتماعية اليوم نحو الدموع هي إيجابية بغض النظر عن نوع جنس ذارفها، أو العرق الذي ينحدر منه، أو الدافع العاطفي لذلك، سواء كان الغضب أو الحزن (المصدر السابق: ٦).

ومن الناس ممن يتألمون أو يحزنون يلجأون لتناول المهدئات أو الخمر للتغلب على مظاهر الأسى والحزن وهذا نوع من الكبت، والذي قد يظهر فيما بعد على شكل اضطراب نفسي شديد ولو بعد حين، ان كبت مشاعر الحزن وعدم التعبير عنها قد يؤدي إلى ظهور مجموعة من الأمراض العضوية كتقرح الأمعاء أو قرحة المعدة، وذلك بسبب التوترات

والضغوط المتواصلة ويمكن تلخيصها بمقولة أحد الأطباء النفسانيين: أن الدموع التي لا تجد لها منفذاً من العيون تجعل الأحشاء تبكي، وبكاء الأطفال أحد مظاهر الطفولة النمائية فقد ارتبط البكاء بالطفولة، حيث شاع القول لمن يبكي من الكبار انه يبكي مثل الأطفال (شيلدس، ٢٠٠٥:٩٨)

درجات للبكاء:

١. بكاء الحزن وتكون دمعته حارة والقلب حزين.

٢. بكاء الوجع والآلام والجزع وهذا النوع يتفاوت من إنسان لأخر ويعتمد على شدة الالم وقابلية التحمل.

٣. بكاء الفزع والخوف والغضب.

٤. بكاء الفرح والسرور وتكون دمعته باردة والقلب فرحان لذا يقال "قرة عين"

٥. بكاء الشكر والرضا والمحبة والشوق.

٦. بكاء الموافقة عندما يبكي الشخص مع الباكين.

٧. البكاء المستعار وأقرب مثل عليه هو بكاء النائحة.

٨. بكاء النفاق وفيه تدمع العين ظاهراً والقلب قاس (بحر العلوم، بلا)

٩. بكاء الرحمة والرقة والمحبة والشوق والشكر والرضا. وقال المثل: من لا يعرف الدموع لا يعرف الرحمة (عبد الخالق،١٩٩٨: ٧٦). وخير كل ما تقدم ذكره هو البكاء من خشية الله ، فإنه يقربنا من الرب الجليل ويلين القلب ويغسله ويذهب عنه الأدران. وقد مدح الباري عز وجل البكائين في القرآن الكريم إذ قال عز من قائل بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ (الإسراء:١٠٩) ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَانِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ (مريم الآية ٥٨) ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (المائدة: ٨٣) ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ (النجم:٤٣)، وهناك حالة أخرى

تصادفنا وهي جفاف العين أو العين الجافة وهي العين التي لا تفرز القدر الكافي والمطلوب من الدموع الطبيعية لترطيبها ومن أعراضها احمرار وحرقان وحكة شديدة في العين وسرعة تهيجها من الدخان والهواء ووجود خيوط مخاطية التركيب حول العين وداخلها ومن المفارقات إن أحد اعراض جفاف العين هو إفراز كميات كبيرة من الدموع لتلافي الجفاف الحاصل. اما أسباب جفاف العين فمتعددة شملت:

أولاً: بعض الالتهابات العينية، التعرض للأجواء الحارة، والتقدم في العمر.

ثانياً: مشاهدة التلفاز والكمبيوتر الطويلة ونقص فيتامين A.

ثالثاً: الإفراط بتناول بعض الأدوية كمدرات البول ومضادات الحساسية والأقراص المهدئة، المنومة والمسكنة وقسماً من أدوية الضغط الدموي.

رابعاً: انسداد القناة الدمعية: وعلاج جفاف العين يتلخص باستعمال قطرات الدموع الاصطناعية أو التداخل الجراحي، أن البكاء دليل صحة لا سقم إن كان معتدلاً ومعقولاً وبدواعي إيجابية وإلا فالبكاء المتواصل ولأقل واتفه الاسباب يمكن ان يكون علامة ومؤشر للإضطرابات النفسية والإكتئاب (المصدر السابق).

المبحث الثالث

وظائف الدموع: (العمودي، ٨:٢٠١١)

١. الوظيفة البصرية: تكاد تكون من أهم وظائف الدمع إذ تحافظ الدموع على ألق القرنية، وتسد الثغور الموجودة بين خلايا السطح القرني الظهاري، فيُسوي ويمهد بطلائه سطح القرنية لتقوم بوظيفتها البصرية خير قيام .

٢. وظيفة دفاعية وقائية: فبواسطة المواد التي يحتويها وخاصة الليزوزيم أو الخمائر الحالّة يستطيع إذابة وتخريب جدر الكثير من الجراثيم فلا تعود قادرة على الغزو والاستفحال والتكاثر. فتبقى العين سليمة صحيحة رغم تعرضها للجراثيم والعضويات الضارة الموجودة بكثرة في الهواء، لذلك فالعين منيعة على الغزو الجرثومي، بمقدار كفاءة المواد الدمعية الحالة للخمائر فإذا قصر الدمع واضطرب تركيبه لأمر ما سهل على العضويات المؤذية غزو العين وإحداث الالتهابات

والتخريب بها، وقد أخذ العلماء يجرون التجارب الخصبة على مادة الليزوزيم الدمعي قبل البدء بتطبيق أي عقار عيني جديد .

٣. وظيفة مرطبة: فهي سقاء للعين وطلاء ضروري لأن الجفاف أذى وبلاء فطالما بقيت العين رطبة، كانت خلاياها السطحية سليمة صحيحة، فإذا ما جفت انعدم البريق منها فتنكمش الخلايا وتتليف، وتغزوها العروق الدموية ويتجلد سطحها، ولتنظيم توزيع الدمع على سطح العين كلما جفت طبقة الدمع التي تطليه خلقت عملية الرمش، التي تحدث طوعياً ولا إراديا بمعدل ١٢,٥ مرة في الدقيقة (في المتوسط) ويدوم إغلاق العين فيها ٠,٣ من الثانية في كل رمشة عين، فلو فتح جفنا العين قسريا وامتنع الرمش مدة شعرت العين بالجفاف وبألم حارق وواخز، وربما يحدث بعد ذلك دماع انعكاسي فينهمر الدمع. ولو فُحص سطح العين أثناء ذلك لوجد أن فتح العين القسري مدة نصف دقيقة كاف لإحداث بقع جافة على سطح القرنية خالية من طبقة الدمع التي سبق الحديث عنها. وقد لوحظ أن بقع الجفاف تتشكل بسرعة أكثر إذا كانت العين قد عانت سابقاً عملاً جراحياً من استئصال السداد أو مكافحة داء الزرق (الجلوكوما).

٤. وظيفة طارحة للفضلات: فيما ينتج عن مخلفات استلاب سطح ولحمة القرنية من الماء وثاني أكسيد الكربون وتوسف الخلايا الميتة وما يفيض عن المواد المخاطية والمفرزات الدهنية يجرفها الدمع وينقلها إلى زاوية العين الأنسية حيث تُضخ في مجاري الدمع إلى الأنف، وهذا ما يحدث بالنسبة للقطاعات الهوائية والغازات وجزيئات الغبار التي لا تحس بها القرنية كأجسام غريبة فتجرف بواسطة الدمع على سطح العين الأمامي، ويفرغ الشحنات الضارة المسببة لمختلف الامراض الجسدية والعضوية ويخلص الجسم من مواد سامة وضارة تفرز عادة حين الإنفعالات، وكذلك يجلي العينين وينظفهما ويخلصهما من كثير من الجراثيم والاجسام الضارة إضافة إلى السموم التي تخرج مع الدموع أساساً، ويوسع الرئتين وهو تمرين لعضلات الحجاب الحاجز والصدر.

٥. وظيفة غذائية: بالرغم من عدم كبر أهميته كطريق غذائي فإنه يحمل بعض المواد

المغذية للغشاء العين، والأهم من ذلك هو أن الجزء الأكبر من مادة الأوكسجين تأتى للقرنية من أوكسجين الجو الذي يحل في الدمع كما في النوم العميق لساعات أو أيام .

٦. وظيفة تزليج وطلاء: فلولا الدموع لما أمكن تثبيت العدسات اللاصقة إذ تتيح درجة تحمل العدسات اللاصقة ونجاح استعمالها درجة القوة المزلجة في الدمع، إذن فالدموع تهب الرطوبة الكافية والطلاء الواقي والملوسة الضرورية للقرنية، وتنقل للقرنية أوكسجين الجو الضروري لغذائها وتطرح فضلات النسج السطحية في العين، وهي خط الدفاع الأول في العين ضد غزو الجراثيم والعضويات المؤذية، تغسل العين مما يعتريها من الشوائب وتنهمر بشدة لتجريف كل جسم غريب متطفل، كل ذلك حفاظاً على ألق العين ودعماً لوظيفة البصر (http://www.brooonzyah.net).

وهو غني بالبوتاسيوم (أربعة أضعاف تركيزه في الدم) ويحتوي على عناصر مناعية دفاعية وهي الجلوبولينات المناعية وخاصة (٢٠٠IGAملغ/ل) وكذلك (IGMوIGE) ودورها معروف في الدفاع عن الجسم ضد الأخطار الخارجية كالجراثيم والفيروسات وكذلك على خميرة انزيم الليزوزيم (١٥جرام/لتر) وهي خميرة ذات قدرة كبيرة مضادة للبكتيريا وذلك بحلها للغلاف الخلوي لبعض الجراثيم (موجبة الجرام) لاحتوائها على (مورامينيدايز) (شيلدس،٢٠٠٥: ٧).

وكذلك يحتوي الدمع على اللاكتوفيرين وهي مادة بروتينية ذات خاصية جذب عالية لعنصر الحديد الضروري لنمو البكتيريا، وبالتالي تلعب دورا أساسيا في مقاومة البكتيريا وفي تعديل الجذور الحرة وخاصة جذر الهيدروكسي الضار لخلايا الجسم وأيضا تلعب دورا مثبطا للمتممة وهذا يمنح الدمع دورا مضادا للالتهابات أيضاً، وكذلك الشوارد المغذية الأخرى والأوكسجين والجلوكوز، والإفراز الدمعي نوعان أساسيان يمثلهما الشريط الدمعي (بسمك ٨ ميكرونات) المؤلف من ثلاث طبقات من الخارج الى الداخل، دهنية، مائية، مخاطية ويلعب رفيف الأجفان دورا أساسيا في تكوينه ويفرز من قبل غدد الدمع الملحقة بالأجفان وهو ثابت وموجود دائما لحماية القرنية والملتحمة (زاهر،٢٠٠٢: بلا).

والنوع الثاني للإفراز الدمعي هو الانعكاسي وهو ناجم عن إفراز مائي غزير للغدة الدمعية الأساسية الموجودة في أعلى وخارج جوف الحجاج أو مركزي وذلك بتنبيه العصب الدمعي المفرز للغدة الوارد عن طريق العصب السابع، ويجري الدمع من الزاوية أعلى وخارج العين (اللحاظ) الى الزاوية الداخلية (الموق)، إذ يزول ثلاثة أرباعه عن طريق نقطتين صغيرتين في الأجفان نحو قنينتين دمعيتين فكيس الدمع ثم القناة الدمعية الأنفية نحو تجويف الأنف بآلية فاعلة لوجود مضخة ماصة للدمع، أما ربع الدمع فيطرح عن طريق التبخر وفي الحالة الطبيعية تستوعب العين الرتوج الملتحمة وسطح القرنية الملتحمة والطرق المفرغة بحدود (٣٠ ميكرولترات) من الدمع وكل ما يزيد على ذلك يفيض ويسيل خارج الأجفان وهو ما نسميه بالدماغ، وهذا ما يخلص العين من الأجسام العالقة كالغبار في حال تخريشها، إذن نستطيع أن نلخص فوائد الدمع بأشكال الحماية المختلفة التي يؤمنها للعين كالحماية الميكانيكية والبصرية وهو يشكل حاجزا مقاوما وسطحا انزلاقيا ممتازة أو مرطبا دائما للعين وحافظا للحرارة السطحية يحميها من الجفاف ويؤمن سطحا بصريا منتظما وبوجود المخاطية في الشريط الدمعي يلتقط الجزيئات الغريبة والبكتيريا العالقة حيث يؤمن رفيف الاجفان طرحها خارجا، ومن الحمايات ايضا حماية مضادة للبكتيريا وحماية فيزيائية بتغيير درجة حمض الدمع مما يجعلها وسطا غير ملائم لنمو الجراثيم الممرضة وحماية كيميائية كوجود عناصر ليزوزيم والاكتوفيرين معدلة الديفانات المفرزة من قبل بعض الجراثيم، وحماية مناعية دفاعية وحماية علاجية، حيث يشكل الشريط الدمعي وسطا ممتازا لاستقبال الادوية الموضعية وحماية غذائية حيث يغذي القرنية والملتحمة باستمرار فهو وسط تبادلي فعال للاوكسجين والجولوكوز والشوارد وبقية العناصر (المصدر نفسه).

إن الجهاز العصبي يستقبل المنبه - التغير الجديد حزن أو فرح - بواسطة الحواس المتصلة به ثم ترسل الى الجهاز العصبي المركزي (الدماغ، الحبل الشوكي) وهناك وبحسب الشخص عمره نوعه خبراته وراثته، تتكون الصورة الذهنية لما حدث، عند الصغار والنساء في حالة كان المنبه قوي كفقد عزيز عادة تكون الصورة صارخة -وبناء عليه تكون ردة فعل الجهاز العصبي حُزم من السيلات العصبية السريعة والمبهوته بعضها الى الجهاز العضلي وبعضها الى التنفسي.. الخ وبعضها يصل الى "الغدة الدمعية" وهي عبارة عن كيس يخزن به الدمع ويقع في الزاوية الخارجية للعين "في الطرف" تؤثر السيلات العصبية على عضلة هذا

الكيس لينقبض وبالتالي يخرج الدمع عبر قناة الغدة الدمعية من الزاوية الداخلية دمعه ورى دمعه ورى دمعه أو متصلة شلال، هذا نوع من التنفيس هو الافضل ويمكن أن يستمر كلما استدعى الدماغ الصورة الذهنية لتتم العملية من جديد.

وتشير الدراسات الطبية الإحصائية إلى أن معدل بكاء الرجل هو مرة في كل شهر، ومعدل بكاء المرأة هو خمس مرات على أقل تقدير شهرياً. ويرتبط ارتفاع معدل بكاء المرأة بالتغيرات الهورمونية التي تعتريها بسبب الدورة الشهرية. أي دونما علاقة مباشرة بالحزن أو الاكتئاب أو الغضب (المصدر نفسه).

وتشير (شيلدس،٢٠٠٥) إلى أن دموع البكاء، تختلف في النوعية عن الدمع الذي يخرج من العين في الأوقات الأخرى. وبالتحليل الكيميائي يُلاحظ ارتفاع نسبة هورمون (بروﻻكتين) وغيره من الهورمونات الأخرى ذات العلاقة بحالات التوتر، كذلك ارتفاع نسبة البوتاسيوم والمنغنيز (شيلدس،٢٠٠٥: ١٨٧).

وهناك من يرى أن احتواء دموع البكاء على كميات من عدة هورمونات مرتبطة بالتوتر وغيره، هو السبب وراء الراحة النفسية التي يشعر المرء بها بُعيد انتهاء نوبة البكاء. كما أن تفاعل الجسم مع تراكم وارتفاع نسبة هورمونات التوتر هو بالبكاء لتخليص الجسم منها. والأسباب الباعثة على بكاء الإنسان الكبير أو الصغير، والذكر أو الأنثى، تتفاوت ما بين التفاعل مع إصابات بالألم في إحدى مناطق الجسم، أياً كان مصدر الألم، لتصل الأسباب إلى معان عاطفية مرتبطة بالتسبب في الألم النفسي أو الحزن أو الغضب أو حتى الفرح.

الفصل الرابع

المبحث الاول

أنواع الدموع

تُعد الدموع التي تُنتجها الغدد الدمعية للعين، وسيلة حماية للعين، وربما للجسم كله. وهناك ثلاثة أنواع من الدموع التي يُمكن للغدد الدمعية إفرازها تومض العين ست عشرة مرة في الدقيقة، ومع كل ومضة لجفن العين فإنها تسحب قليلاً من سائل الغدد. وعندما يشعر الإنسان ببعض الانفعال مثل الحزن أو الغضب أو السعادة البالغة تضيق العضلات

التي حول الغدد الدمعية وتعصر السائل الدمعي، ويحدث الشيء نفسه إذا ضحك الإنسان من أعماقه، وبمرور الدموع فوق مقلة العين تنساب خلال قناة دمعية تفتح في الركن الداخلي من كل عين وتقود إلى جيب دمعي، ثم إلى مجرى أنفي، وتجرى هذه القناة على امتداد الأنف ثم تفتح داخلها. ولعل هذا يُفسر سيلان الأنف عند جريان الدموع من هذه الفتحة، في حالات مختلفة من حياة الإنسان اليومية، وهي:

١. الدموع الأساسية: وفي الإنسان والحيوانات الثديية، تحتاج قرنية العين إلى أن تبقى رطبة دائما، وذلك لضمان سلامتها وحفظ تركيبها الشفاف المهم. والقرنية هي الجزء الشفاف من مقدم العين المُشاهدة، وتُغلف الحلقة القزحية الملونة لأعين الناس بألوان مختلفة. وعملية ترطيب القرنية تتم عبر الإفراز المتواصل لـ"الدموع الأساسية". كما أن تلك الإفرازات الدمعية تعمل على غسل القرنية والملتحمة من أية أجسام غريبة تعلق بها، كالغبار وغيره. والملتحمة هي طبقة من الأنسجة تُغطي الجزء الأبيض من العين المُشاهدة. وسائل "الدموع الأساسية" يحتوي على الماء، ومادة ليوسين اللزجة والدهون و"أجسام مضادة" ومادة "لايسوزوم" وسكر الغلوكوز وعناصر اليوريا والصوديوم والبوتاسيوم: وعلى سبيل المثال، تعمل مادة "لايسوزوم" على مقاومة البكتيريا عبر قدرتها على إذابة وتحليل الغطاء الخارجي لأنواع من البكتيريا. ويتطابق سائل "الدموع الأساسية" في مكوناته من الأملاح، كالصوديوم والبوتاسيوم وغيرهما، مع درجة ملوحة سائل بلازما الدم، والطبيعي أن تُفرز الغدد الدمعية خلال الـ٢٤ ساعة ما يُقارب ربع لتر وتقل كمية هذه الدموع مع التقدم في العمر أو في حال وجود بعض الأمراض بالجسم .(http://www.brooonzyah.net)

٢. دموع ردة الفعل: وهذا النوع من الدموع يتم إفرازه كردة فعل لتهييج العين بأجسام غريبة أو بمواد كيميائية مُهيجة، مثل دخول شعرة في ما بين الجفون أو تعرض العين لغازات صادرة عن البصل أو غيره، كما يُمكن أن تتهيج العين بتعرضها لوهج ضوء شديد أو أكل الفلفل الحار أو الأطعمة الساخنة جداً أو أثناء عملية القيء أو السعال الشديد. والغاية من هذه الدموع غسل العين مما ألمّ بها.

٣. دموع البكاء: وهذا النوع من الدموع يتم إفرازه نتيجة للتعرض لألم جسدي أو عاطفي أو نفسي، أو حتى عند الشعور بالسعادة العارمة. وغالباً ما يُصاحب عملية إفراز دموع البكاء، احمرار الوجه والنشيج (sobbing) وانقباضات في النصف العلوي من الجسم والنشيج هو فعل متكرر شبيه بالسعال ويشمل نوبات من التنفس المتشنج، خلال نوبة البكاء وتصدر خلاله أصوات مختلفة الحدة والارتفاع ومكونات الدمع الصادر خلال البكاء تختلف عن مكونات دمع الترطيب الأساسي أو دموع ردة الفعل ذلك أن دموع البكاء تحتوي هورمونات بروتينية، مثل "برولاكتين" و"هورمون الغدة جار الكلوية" وعلى مادة طبيعية مخففة للألم تُدعى "ليوسين إنكفيلاين" (المصدر السابق).

المبحث الثاني

دراسات حديثة تناولت متغير الدموع

١. دراسة فريق من الباحثين الأميركيين من جامعة جنوب فلوريدا والباحثين الهولنديين من جامعة تيلبيرغ، التي وصفت بعضاً من النتائج الحديثة لأبحاثهم حول "سيكولوجيا" علم نفسية البكاء crying. وقام الباحثون بتحليل كافة التفاصيل التي تجمعت لديهم حول أكثر من (٣٠٠٠) حالة بكاء حديثة حصلت لدى أشخاص في حياتهم اليومية العملية والواقعية، أي خارج نطاق إجراء التجارب على البكاء في المختبرات، عبر تحفيز حصوله لدى هؤلاء الأشخاص، وقد توصل الباحثون إلى أن الحصول على فوائد، نفسية أو بدنية أو اجتماعية، من عملية البكاء، يعتمد بشكل كبير على ما الذي بعث على البكاء، وأين حصل ذلك، ومتى انتابت الشخص تلك النوبة المعينة من البكاء. ووجد الباحثون أن غالبية الأشخاص المشمولين في الدراسة، حوالي ٦٠٪، وصفوا شعورهم بُعيد نوبة بكائهم، بأنه "تحسّن" و"ارتفاع" في مستوى المزاج النفسي والذهني. ومع ذلك، ذكر حوالي ٣٠٪ أنهم لم يشعروا بذلك الإحساس النفسي الجيد والمُريح، بُعيد نوبة البكاء، إلا أن ١٠٪ ذكروا خلاف ذلك كله، إذ وصفوا إحساسهم بعد نوبة البكاء بأنه غدا أسوأ، وأن الأشخاص المُصابين بحالات مزمنة من القلق والتوتر، هم أقل استفادة بالبكاء وأكثر شعوراً

بعدم الارتياح بعده.

٢. أجرى الكيميائي "وليم فرى" عدة دراسات وأبحاث مع فريق من زملائه، منها دراسة على (٣٣١) متطوعاً من الجنسين تتراوح أعمارهم بين ١٨ - ٧٥ سنة وقد طلب من متطوع تسجيل يومياته عن البكاء لمدة ثلاثين يوماً، وقد أظهرت النتائج أن السيدات سجلن (٥,٤) حالة بكاء كاستجابة لجهد انفعالي خلال هذه المدة، على حين سجل الرجال متوسط (١,٤) حالة وأتضح من الدراسة أن ٧٣٪ من الرجال و ٨٥٪ من السيدات بصفة عامة شعروا بارتياح بعد البكاء .

من بين أفراد تلك المجموعة لم يبك ٤٥٪ من الرجال و ٦٪ من السيدات الذين يتمتعون بصحة جيدة، أما أسباب البكاء الرئيسة للمرأة فقد تضمنت علاقات مع الناس وغالباً لانفصالها عن شخصية محبوبة، وكانت الانفعالات الأساسية هي الحزن بنسبة ٤٩٪ والفرح بنسبة ٢١٪ والغضب ١٠٪ بينما عبرت معظم السيدات عن غضبهن بالدموع فإن الرجال لم يفعلوا ذلك .

وأكدت تجارب "فرى" أن الدموع تخلص الإنسان من مواد سامة يصنعها الجسم كله في حالة توتر، وأنه يجب أن يُنظر للبكاء على أنه عملية تنظيف مثل التبول والعرق وكشفت الدراسة أن تركيب الدموع يختلف تبعاً لمسبباته وللأشخاص الباكين أيضاً. فقد تبين أن دموع الفرح مثلاً تحتوى على نسبة كبيرة من الزلال تزيد بح والى ٢٥٪ عن الدموع الأخرى، كما أتضح أن نوبات البكاء تحدث بشكل أساسي بين السابعة والعاشرة مساءً، وأن احتمال البكاء أثناء مشاهدة فيلم مؤثر أكثر في المساء عنه في الصباح، وأن النساء يجهشن بالبكاء بصوت مسموع نحو ٦٤ مرة في السنة بينما يبكي الرجال حوالي ١٧ مرة فقط في السنة، كما أن البكاء مفيد فقد تبين أن٨٥ بالمائة من النساء و٧٣ بالمائة من الرجال الذين شملتهم الدراسة شعروا بالارتياح بعد البكاء، وأن الدموع تخلص الجسم من المواد الكيماوية المتعلقة بالضغط النفسي مشيراً إلى التركيب الكيمائي للدمع العاطفي والدمع التحسسي الذي يثيره الغبار مثلاً، وأوضح هذا الاكتشاف سبب بكاء النساء بنسبة تفوق بكاء الرجال بخمسة أضعاف فالبرولاكين يتواجد لدى النساء بكميات أكبر مقارنة بالكمية لدى الرجال لأنه الهرمون المسؤول عن إفراز الحليب، كما أوضح أن الحزن مسئول عن أكثر من نصف كمية

الدمع التي يذرفها البشر في حين أن الفرح مسئول عن ٢٠ بالمائة من الدمع أما الغضب فيأتي في المرتبة الثالثة (http://www.brooonzyah.net).

الاستنتاجات:

١. البكاء حالةٌ معروفةٌ في النفس البشرية، حين يبلغ بها التأثر درجةً أعلى من أن يفي بها القولُ، فيفيض الدمع ليؤدي ما لا يؤديه القول، وليطلق الشحنة الحبيسة من التأثر العميق العنيف، فهو فطرةٌ بشرية، وإن كان جِبِلّةً بشريةً؛ ولكن المؤمن الواعي يعطي هذه الفطرة الإنسانية أبعاداً معرفيةً ومعاني تعبديةً.

٢. البكاء يستهدف التفاعل القلبيّ والروحيّ مع المبادئ التي طرحها الإمام الحسين عليه السلام والانصهار بها، تلك المبادئ التي خلّدت الإسلام كالمطالبة بالحقّ المغصوب، والرفض القاطع للظلم، والتفاني والإيثار.

٣. لا شك أن البكاء شأنه شأن كل شيء يفعله الإنسان له دوافعه، وأسبابه، ولقد تناول القرآن موضوع البكاء بصورة مقتضبة في تسع آيات بين فيها بعض أسبابه ودوافعه، فكان منها بكاء الكذب والدجل، والبكاء على فوات الخير، والبكاء عند قراءة القرآن، والبكاء في الصلاة، والبكاء حزنا وندما.

٤. البكاء يختلف حكمه باختلاف مبعثه وغرضه ومدى صدقه، فإن كان البكاء لأي غرض من الأغراض المشروعة، كالبكاء عند المريض، والميت، وعند الموعظة، وفي الصلاة، وقراءة القرآن، وعند ذكر الجنة والنار، البكاء من خشية الله تعالى، وخوفا منه، وطمعا في رحمته، أو أن يكون البكاء من سماع القرآن وما فيه بعد تدبره وتأمله.

٥. البكاء ليس عيبا في حق الرجال كما يظن الكثير بل هي رحمة ورقة في القلب وضعها الله عزّ وجل في قلوب العباد، فهي موجودة في الصغير والكبير، والرجل والمرأة، والجماد.

٦. كما أن الإنسان يبكي فالأنبياء يبكون في الصلاة وعند قراءة القرآن، وعند المريض، وعند القبر، وعند فقد الأحبة، بل أنهم يبكون بكاء أخر وهو بكاء الشفقة والرحمة

علي أمتهم من عذاب الله تعالى.

٧. لا شك أن النفس البشرية تتأثر بفراق من تحب، سواء كان فراقاً جزئياً بالسفر ونحوه، أو كلياً بالموت، وهذا أمر جبلت عليه الفطرة الإنسانية فإذا ابتلي بمصاب عزيز من أعزائها وفلذة من أفلاذ كبده، يحس بحزن شديد يعقبه ذرف الدموع على وجناته، دون أن يستطيع أن يتمالك حزنه أو بكاءه. ولا أجد أحدا ينكر هذه الحقيقة إنكار جد وموضوعية ومن الواضح بمكان أن الإسلام دين الفطرة يجاريها ولا يخالفها. ولا يمكن لتشريع عالمي أن يحرم الحزن والبكاء على فقد الأحبة ويحرم عليه البكاء إذا لم يقترن بشيء يغضب الله سبحانه وتعالى، لذا تواردت مواقف كثيرةً جداً على بكاء النبي صلى الله عليه وآله على موت قريبٍ أو بعيد، وكذا الصحابة رضوان الله عليهم.

٨. البكاء ليس دائماً قرين الحزن واليأس، وإنما هناك نوع من البكاء لا يظهر إلا في حالات الفرح الشديدة، وهو ما يسمونه (دموع الفرح)، فكثير من الناس عندما يمر بخبر سعيد أو فرحة غامرة، لا يجد ما يعبر به عن هذه السعادة سوى البكاء، وكذلك المرء يبكي خوفا وخشية من الله، وأيضاً يبكي لبكاء الناس وهو ما يعرف ببكاء الموافقة.

التوصيات:

توصي الباحثة بالآتي:

١- أن يكون هنالك أقرباء أو أصدقاء يلجأ إليهم الفرد ويتحدث معهم ويأخذ بنصيحتهم لإخراج الشحنة السلبية. بتعلم مهارات استرخاء العضلات والتنفس السليم، للتخلص من القلق والتوتر والبكاء.

٢- على الفرد أن تكون لديه دراسة بالتصورات العقلية والتخيلات وحدودها.

٣- ليس عيبًا أن نطلب المساعدة من أي جهة تملك حق المساعدة في نظرنا، فهناك الاختصاصيون والمستشارون والإرشاديون الاجتماعيون والنفسيون، كل يستطيع أن يساعد بما يملك وما يقدر عليه؛ فقط يجب أن نعترف بأن لدينا مشكلة وأننا بحاجة للمساعدة.

٤- الاهتمام بدور الاسرة في احتواء مشاعر اولادها وانفعالاتهم من خلال تعلم مهارة فن الاصغاء، والاصغاء لمشكلات اولادهم حتى لا تتفاقم مستقبلا الى اضطرابات ومشاكل وامراض نفسية يصعب حلها.

٥- على الاباء والامهات ان يكونوا قدوة حسنة لأولادهم بحب اهل البيت والبكاء على واقعة الطف.

٦- على الاباء والامهات ان يكونوا على قدر المسؤولية عند الاجابة على اي تساؤل يصدر من الطفل عن استشهاد الحسين ولا يتذمروا من كثرة الاسئلة.

٧- تضمين المناهج الدراسية ابتداءً من مرحلة رياض الاطفال الى المرحلة الجامعية بفكر اهل البيت.

٨- ضرورة تطبيق الهدي النبوي في حالات البكاء حيث أنه منهج متكامل بعيدا عن منهج الإفراط والتفريط.

٩- على وسائل الاعلام الدور الكبير بإنتاج افلام ومسلسلات ورسوم متحركة للأطفال تتضمن موضوع واقعة الطف

المقترحات:

١- الاهتمام بالدراسات التي تؤصل لعلم النفس الإسلامي، وذلك من خلال آيات القرآن الكريم ونصوص السنة المشرفة وآثار علماء الإسلامٍ وذلك لإنقاذ البشرية من همومها وغمومها ولإبراز أسبقية المسلمين لغيرهم في مثل هذه العلوم.

٢- ضرورة العودة الى كتاب الله في كل جوانب الحياة لتحقيق السعادة.

٣- الاهتمام بدراسة الآثار المنسوبة إلى السلف الصالح والتي فيها مدح البكاء أو ذمه مما لم تورده الباحثة في دراستها.

Abstract

Chapter One: targeted research to answer the following questions:

1. Why cry over Hussein?
2. Do crying behavior is flawed?
3. Is the property remains for women to force their emotions and not to the possibility of their hearts for the misfortunes?
4. Are the fact crying wash wounds and anxieties?
5. Can man loses his pride and becomes weak the eyes of others in the case of crying?
6. hl crying philosophy transcends all that..lha time and has its time and its style?

Limits Search: Search identifies with talk on the subject, in order to serve Investigation research.

The first topic-why we cry, Section II photos of crying:

Chapter II Section I. Why cry over Hussein (peace be upon him) / second topic-theories that explain the revolution of Imam Hussein, the prophet (peace be upon him)

Chapter III -alambges first - the weeping angels and prophets and Prophet Ahlulbayt the Imam Hussein, peace be upon him: Section II weeping men and women: Section III functions tears Chapter IV Section One-types of tears:

The second topic-modern studies of variable tears, and then the conclusions and recommendations and a list of sources

هوامش البحث

(★) محاضرة ألقيت في محرم ١٤١٥هـ في مركز الإمام الخميني الثقافي. المحاضرة الخامسة: فلسفة البكاء على الإمام الحسين عليه السلام.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً- مصادر عربية:

١- الانصاري، بدر(٢٠٠٠): قياس الشخصية، تحليل سيكولوجي لشخصية المرأة، الكويت، دار الكتاب الحديث

٢- بحر العلوم (بلا): الثورة الحسينية بجذورها ومعطيتها، ج٢، ط١.

٣- جريدة المدى اليومية (٢٠١٢): ملحق اوراق، العدد بتاريخ: السبت ٠٤-٠٨-٢٠١٢ http://society.ahlabaht.org

٤- الخفاف، سالم (بلا): إعصر عينيك ولا تعصر قلبك http://www.thaqafnafsak.com السويد/مالمو

٥- رضوان، سامر جميل(٢٠٠٠): الصحة النفسية بين السواء والاضطراب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

٦- زاهر، محمد(٢٠٠٢): جريدة البيان، العدد بتاريخ الثلاثاء ٢١ ذو الحجة ١٤٢٢هـ الموافق ٥.

٧- شيلدس، ستيفاني (٢٠٠٥): كتاب الدوافع المحركة للمجموعات والتعبير عن المشاعر، جامعة ولاية بنسيلفينيا.

٨- عبد الخالق، احمد محمد (١٩٩٨):التفاؤل وصحة الجسم، دراسة عاملية، مجلة العلوم الاجتماعية (جامعة الكويت) مج٢٦.

٩- عثمان، أسامة إسماعيل (٢٠٠٨): ثورة سيدنا الامام الحسين عليه السلام في فكرة شهيد المحراب،جامعة البصرة - كلية الآداب، المؤتمر الفكري الثالث الذي عقدته مؤسسة تراث الشهيد الحكيم قدس سره في النجف الأشرف، تحت عنوان: فكر الشهيد الحكيم ودمه الزاكي يضيئان الطريق أمام وحدة العراق ونهضته العلمية.

١٠- العمودي، محمد سمير(٢٠١١): البكاء في ضوء السنة النبوية، رسالة ماجستير في قسم الحديث الشريف وعلومه، الجامعة الاسلامية، غزة، كلية اصول الدين قسم الحديث الشريف وعلومه.

١١- القوصى، عبد العزيز (بلا):كتاب، مشكلات وصور نفسية.

١٢- ـــــــــــ (١٩٥٢):أسس الصحة النفسية، مكتبة النهضة المصرية، ط (٤)

١٣- محمد، فرغلي هارون (٢٠٠٨): سيكولوجية البكاء،http://www.thaqafnafsak.com

١٤- المطبعي، حميد (٢٠١٢) تحليل سيكولوجي لشخصية المرأة http://www.narjesmag.com

١٥- منصور، أنيس(١٩٩٤): من نفسي، مهرجان القراءة للجميع - الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٦- الوردي علي، المواعظ،دروس وعبر،شبهات عاشوراء، كربلاء، حركة الحسين ومراميه http://www.ihplib.org

١٧- يوسف،محمد خير رمضان(١٤١٨هـ):أربعون حديثًا في الرقة والبكاء، بيروت دار ابن حزم.

ثانياً- الكتب:

١- الاصول من الكافي، ثقة الاسلام ابي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني الرازي، ج(١).

٢- أمالي الصدوق، الشيخ الصدوق ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، قدم له: الشيخ حسين الأعلمي، الناشر: منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط(١) ٢٠٠٩

٣- بحار الأنوار، الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار - جميع الأجزاء المؤلف :الشيخ محمد باقر المجلسي، القسم، كتب الحديث والرواية

٤- جواهر البحاركتاب،محمد تقي المدرسي.

٥- الخصال، الشيخ الصدوق ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي صححه وعلق عليه: علي اكبر الغفاري، الناشر: مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسيين بقم المشرفة عدد الصفحات،٧٦٧.

٦- رياض الصالحين، أبي زكريا النووي، دار المأمون للتراث - بيروت - ١٩٨٩.

٧- طوق الحمامة في الإلفة والألاف(١٩٩٣): ابن حزم الأندلسي، تحقيق د. الطاهر أحمد مكي دار المعارف - القاهرة

٨- كامل الزيارات، تأليف: الشيخ أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه القمي تحقيق: نشر الفقاهة.

٩- مثير الاحزان، للشيخ الجليل ابن نما الحلي تأليف نجم الدين محمد بن جعفر بن أبي البقاء هبة الله بن نما الحلي المتوفى سنة ٦٤٥هج ويليه "قرة العين في أخذ ثار الحسين عليه السلام" منشورات المطبعة الحيدرية في النجف ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠.

١٠- مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم، اية الله ميرزا محمد تقي الموسوي الاصفهاني /مؤسسة الامام المهدي/ مج (١)،ج (١).

ثالثاً- مواقع الانترنت:

1- http://forum.sedty.com

2- http://www.altibbi.com

3- http://society.ahlabaht.org

4- http://www.narjesmag.com

5- http://www.altibbi.com